الجمعية الشرعية الرئيسية
لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية

هذه عقيدتنا

تاليف
الأستاذ الدكتور
الشيخ / فؤاد على مخيمر
إمام أهل السنة
الرئيس العام للجمعيات الشرعية
والأستاذ بجامعة الأزهر

فهـــرس



مقدمة

الحمد لله . نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد ..

فإن منهاج الإسلام فى العقيدة الصحيحة واضح وضوح الشمس فى كبد السماء ، ذلك ؛ لأنها عقيدة ثابتة بالكتاب والسنة ، وإجماع الصحابة على مسلكها ، والالتزام بها اتباعًا لرسولنا (صلى الله عليه وسلم) كما هدى .

ومن ثَمَّ تُعَدُّ عقيدة أهل السلف فى الأسماء والصفات ، وفى كل الأصول الاعتقادية وتوابعها أسلم وأحكم وأوثق لضبط مناهج العبودية لله وحده ، لأن العبادات وجميع التكاليف الشرعية وكل ما يقدمه العباد من أقوال وأعمال الطاعات والبر ، لا تقبل إلا فى ضوء عقيدة صحيحة .

فـالأعمـال التى تُقَدَّم فى ظل عقيـدة فـاسدة مـحـبط
مردودة ، والأعمـال التى تقـدم فى ضوء عقيـدة صـحيـح
مقبولة - إن شاء اللّه تعالى - ثمرتها تكفير السيئات
ورفع الدرجـات ، وصـلاح الحـال ، وهـدوء البـال ، والحيـا
الطيبة ، والجزاء الأوفى من اللّه - سبحانه - والعطاء بغير
حساب .

قال تعالى : ﴿ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ الل
أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وآمَنُو
بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُو الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِه
وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ . (محمد : ١ ، ٢

وقال - عز من قائل - : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَ
أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُ
أَجْرَهُمْ بأحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . (النحل : ٩٧

ولذا وصـانا اللّه وصيـة غـاليـة لنربط قلوبنا عل
الإيمان الصحيح ، وأقدامنا على الصراط المستقيم
وذلك قوله - سبحانه - :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . (الانعام : ١٥٣)

ومن ثَمَّ وجب علينا أن نأخذ بأيدى إخوانـنا الذين اجتهدوا فى الدفاع عن الإسلام بطريقة غير طريقة السلف الصالح لنردهم إلى الصواب ، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفق منهج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) فى دعوته تأليفًا للقلوب ، وجمعًا للصفوف كيلا تتمزق وحدة الأمة بسبب الخلافات والتطاول بتكفير بعضنا بعضا مخالفة لتحذيرات النبى (صلى اللّه عليه وسلم) من هذه الفتن .

وعلى هذا المنهج السديد سلكت الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية طريقها .

فعقيدة علمائها ووعاظها ورجالها العاملين فى ساحتها وجميع أتباعها هى عقيدة السلف الصالح فى الأسماء والصفات ، وجميع الأصول وتوابعها (فيعبدون اللّه كما أمر اتباعًا لرسولهم كما هدى) .

وهكذا أحكم مؤسّسها الأول وإمامها حضرة صاحب الفضيلة الإمام الورع مجدد السنة الشيخ (محمود بن محمد بن خطّاب السبكى) طيب اللّه ثراه وجعل صحبته

مع النبيين والصديقين والشهداء - أحكم القول فى توجيه أتباعه خاصة والمسلمين عامة نحو عقيدة أهل السلف الصالح ، وضبط المنهاج التعبدى فى ضوء أمر اللّه تعالى وهَدْى رسولنا الأكرم (صلى اللّه عليه وسلم) .

وتولى قيادة الجمعية الشرعية من بعده أئمة علماء تمسكوا بعقيدة السلف الصالح فدعوا الناس على بصيرة من أمر دينهم ، ومن خرج عن عقيدتهم وفكرهم الدعوى المستنير أخذوا بيده وعالجوه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإن تعصب وأصر على الخروج طردوه ، لأن الجمعية الشرعية تنفى خبثها .

ومما يجب أن نجعله على ذكر منا ونؤكد عليه أن الجمعية الشرعية أسست من أول يوم على صدق وإخلاص بدليل استمرارها وانتشار دعوتها ، وثقة المسلمين بها وبقيادتها ، وذلك لأن دعوتها تنطلق على قدم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) اتباعًا للمنهج الربانى الذى ارتضاه اللّه - جلت حكمته - لعباده ، فأضحت لها نهضة دعوية منبعها الأصيل كتاب اللّه تعالى وسنة رسوله الكريم (صلى اللّه عليه وسلم) ونهضة فكرية تواكب العصر فى معاهدها الدعوية ، وفى شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والصحية والتعليمية .

فإن تناولها بعض المغرضين بإلصاق التهم ، والتشويش عليها ، وبلبلة أفكار الناس لينصرفوا عنها ،

رُدٌّ عليهم باستقامة مسيرة الجمعية ونجاحها فى المجالين الدعَوِى والتطبيقى ، لأن من يرى الشمس فى كبد السماء ساطعة ، وينكر شعاعها المنتشر على سطح المعمورة ، فقد عمى بصره وطمست بصيرته .

وإن التجنى من غير دليل فتنة « والفتنة نائمة لعن اللّه من أيقظها » ، والحق واضح جلىّ لعن اللّه من أنكره .

وكيف يكون ذلك والجمعية الشرعية قامت على

(إحياء السنة ونبذ البدعة) ، ودعوة الناس إلى تصحيح العقيدة ، وضبط منهج العبادات وفقًا لأمر اللّه - سبحانه - واتباعًا لهدى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) .

وهأنذا سأعرض نبذة عن منهج السلف فى العقيدة الصحيحة التى ندين بها للّه تعالى واللّه وحده من وراء القصد وهو الهادى إلى الحق .

أ . د / فؤاد على مخيمر
إمام أهل السنة
الرئيس العام للجمعيات الشرعية
والأستاذ بجامعة الأزهر

نبــــذة
عن عقيدتنا فى الأصول وتوابعها

نؤمن بـالله ومـلائكتـه وكـتـبـه ورسلـه واليـوم الآخـر والقدر خيره وشره .

ونشـهد أن الله وحـده لا شريك له الأحـد الصـمـد المنزه عن الصاحبـة والولد ، وأنه الرب الإله المعبود ، المتفرِّد بكل كمال ، والخلق عبيده ، فنعبده وحده مخلصين له الدين .

ونوقن جزمًا أن الله هو الخـالق البـارئ المصور الرَّزَّاق المعطى المانع المدبر لجـمـيع الأمـور ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّه رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ . (الأعراف : ٥٤)

ونؤمن أنه المألوه المعبودُ المؤحَّدُ المقصود ، وأنه الأول الذى ليس قـبله شىء ، الآخــر الذى لـيس بعـــده شىء ، الظاهر الذى ليس فـوقـه شىء ، البـاطن الذى ليس دونه شىء .

وأنه العلى الأعلى بكل مـعنى واعـتبـار ، علو الذات ، وعلو القدر ، وعلو القهر .

وأنه على العـرش استـوى ، استـواءً يليق بعظمـتـه وكبريائه وجـلالـه ، وأن علوه مطلـق ، وفوقـيتـه مطلقـة ، فالاستواء معلوم ، والكيفية مجهولة ، والسؤال عنه بدعة ، فعلينا الإيمان بذلك من غير خوض فى الكيفية .

كما يجب أن نؤمن بأنه قد أحاط بكل شىء علمًا ، وأحاط بكل شىء عددًا ، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن ، والعالمين العلوى والسفلى ، ويعلم جميع أحوال العباد ، وهو القريب المجيب ، وأنه الغنى بذاته عن جميع مخلوقاته يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ ، يُجِيرُ ولا يُجَارُ عليه ، فالكل إليه مفتقرون فى إيجادهم ، وإيجاد ما يحتاجون إليه فى جميع الأوقات ، ولا غنًى لأحد عنه طرفة عين ، ذلك ؛ لأنه هو الرءوف الرحمن الرحيم ، فكل ما يحيا به العباد من نِعَم دينية ودنيوية من عنده - سبحانه - ودفع النِّقَمِ بسلطانه ، فهو الجالب للنعم ، الدافع للنقم .

ونوقن أن رحمته (تعالى) وسعت كل شىء ، فهو الرحمن الرحيم ، التَّواب العفو الغفور ، يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمذنبين ؛ لأنه يريد أن يرحم عباده .

فمن مظاهر رحمته الساطعة أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بذاته يلبى حاجات العباد حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : « لا أسأل عن عبادى غيرى ، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له ، من ذا الذى يسألنى فأعطيه ؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ؟ حتى يطلع الفجر .

فهو ينزل كما يشاء ، ويفعل كما يريد ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وهو الشكور الذى يشكر القليل من العمل ، ويزيد الشاكرين من فضله .

وأنه الحكيم ، له الحكمة التامة فى شرعه وقدره ، فما خلق شيئًا عبثًا ، ولا شرع الشرائع إلا للمصالح والحكم ، قال - سبحانه - :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ . (القمر : ٤٩)

وإننا نصفه بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله (صلى اللّه عليه وسلم) من غير تشبيه ولا تمثيل ، ولا تأويل ولا تعطيل ، فهو أعلم بمراده ، و ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ . (الشورى : ١١)

فمن الصفات الذاتية : الحياة الكاملة ، والسمع والبصر ، وكمال القدرة والعظمة والكبرياء ، والمجد والجلال والجمال والحمد المطلق ، والعلم المطلق ، الذى لا تقيده حدود ، ولا تعترضه موانع ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ . (البقرة : ٢٥٥)

ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته : الرحمة والرضا والعفو والمغفرة والسخط والكلام ، وأنه يتكلم بما يشاء ، وكلماته لا تنفد ولا تبيد .

فنؤمن أن القرآن الكريم كلام اللّه القديم ، وأنه غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود .

ونؤمن كـذلك بأنه - سـبـحـانه - لم يَزَلْ ولا يزالُ موصوفًا بأنه يفعل ما يريد ، ويتكلم بما يشاء ويحكم على عباده بأحكامه القَدَرِيَّةِ ، وأحكامه الشرعية ، وأحكامه الجزائية ، فهو الحاكم المالك ، ومن سواه مملوك محكوم عليه ، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن حكمه .

ونؤمن كما آمن سلفنا الصالح أن المؤمنين يَرَوْنَ ربَّهم تعالى عيانًا جهرة ، وأن نعيم رؤيته ، والفوز برضوانه أكبر أنواع النعيم واللذة ، فبهذا جاء الكتاب وصحت به السُّنَّةُ .

ولأن أعمال الجوارح ، وأقوال اللسان ، تابعة لما فى القلوب من عقيدة ، فمن أداها أداءً كاملاً ، يُعَدُّ مؤمنًا حقًا ، وينقص إيمانه بقدر ما تنقص أعماله وأقواله ، ذلك ؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية .

ولا بد أن تكون الأعمال والأقوال موافقة لشرع اللّه - سبحانه - وعلى هَدْىٍ من منهج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) .

السُّنَّةُ والعمل بها والإيمان بها مما هو معلوم من الدين بالضرورة ؛ ذلك ؛ لأنه إيمان ﴿ بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ .... ﴾ . (محمد : ٢)

وأنها بيان وتفصيل لما جاء فى القرآن كما أخبر بذلك ربنا فى كتابه ، وقد أمرنا - سبحانه - بطاعة النبى (صلى اللّه عليه وسلم) ومن ثَمَّ فلا هداية بدون طاعته (صلى اللّه عليه وسلم) قال (تعالى) : ﴿ وإن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ .

(النور : ٥٤)

وبناء على ذلك فإن من أنكر السنة وجحد العمل بها وأخرجها من دائرة إيمانه ، فقد أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، فيخرج من الملة - أعاذنا اللّه من ذلك .

ندين للّه (تعالى) أن من مات على غير الإيمان والتوحيد فهو مخلَّدٌ فى نار جهنم أبدًا ، وأن مرتكبى الكبائر إن ماتوا على غير توبة ، ولا حصل لهم مُكَفِّر لذنوبهم ولا شفاعة فإنهم وإن دخلوا النار لا يخلدون فيها ، ولا يبقى فى النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان إلا خرج منها ، وذلك عدل اللّه ورحمته وفضله وإحسانه .

من الأصول عن سلفنا الصالح الذى ندين للّه به معهم أن السعى والجد فيما ينفع من أمور الدين والدنيا مع الاستعانة باللّه وحده أمر واجب ، لأن تحقيق الخلافة على الأرض لا يتحقق إلا بالسعى ، والسعى يكون عبادة إذا انضبط بالصدق فى القول والإخلاص فى العمل ، ولا يتحقق ذلك أيضًا إلا بمتابعة النبى (صلى اللّه عليه وسلم)

سكًا بسنته ، وتأسيًا بأخلاقه (صلى اللّه وعليه وسلم)؛ أيضًا النصيحة للمؤمنين وإرشادهم إلى رعاية عهدهم مع لّه (تعالى) ورسوله (صلى اللّه عليه وسلم) واجب من اجبات أخوة الإيمان .

ومع شهادة أن لا إله إلا اللّه ، نشهد أن محمدًا عبد لّه ورسوله أرسله اللّه (تعالى) بالهدى ودين الحق ظهره على الدين كله ، وأنه (صلى اللّه عليه وسلم) أولى لمؤمنين من أنفسهم ، وهو خاتم النبيين أرسل إلى الإنس الجن هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى اللّه بإذنه سراجًا منيرًا ، أرسله ربه بصلاح الدين وصلاح الدينا ، عوته للخلق أن يعبدوا اللّه - سبحانه - وحده لا شريك له يث لا إله يُعْبَدُ سواه فهو القائل :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ نْهُمْ مِن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ . (الذاريات : ٥٦ ، ٥٧)

نعتقد أن اللّه جمع لسيدنا محمد (صلى اللّه عليه سلم) من الفضائل والخصائص والكمالات ما لم يجمعه حد من قبله ولا من بعده ، فهو أعلى الخلق مقامًا ، أعظمهم جاهًا ، وأحسنهم خلقًا ، وأكملهم فى كل فضيلة ، يترك خيرًا إلا دل أمته عليه ، ولا شرًا إلا حذرهم منه جتنبوه .

فهو أعلم الخلق وأصدقهم وأوضحهم وأعظمهم شأ
وأفصحهم لسانًا وبيانًا فنعظمه ونحبه ، ونقدم محبته عل
محبة جميع الخلق ، ونتبعه فى أصول الدين وفروعه ، لأ
هديه مُقدَّم على كل هَدْيٍ سواه ، هكذا كانت عقيدة السلف
ونحن على اثرهم نقتدى ونعتقد .

ومن أصول الإيمان أننا نؤمن بكل كتاب أنزله اللّه
وكل رسول أرسله اللّه لا نفرق بين أحد من رسله .

ومن الأصول عند السلف ونحن على قدمهم النَّهْىُ ع
إيذاء الخلق فى دمائهم وأعراضهم وأموالهم وجمي
حقوقهم ، لأن حرمة دم المسلم عند اللّه أشد من حرم
الكعبة ، هكذا أخبر المعصوم (صلى اللّه عليه وسلم) ف
حجة الوداع .

ومن ثَمَّ فالأمر بالعدل والإنصاف فى جميع المعاملا
أمر واجب ، والندْبُ إلى الإحسان والفضل فيها من أسم
الخُلُقِ فى الإسلام .

ولما كان هذا المنهج منبعه نبينا محمد (صلى اللّ
عليه وسلم) وجب علينا أن نؤمن بأن أمة محمد (صل
اللّه عليه وسلم) هى أفضل الأمم ، وأنه (صلى اللّه علي
وسلم) أفضل الخلق وأفضل الرسل - عليهم السلام - وأ

ضل أمة محمد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه سلم) نصطفى من بينهم الخلفاء الراشدين ، والعشرة شهود لهم بالجنة ، وأهل بدر ، وأصحاب بيعة الرضوان السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، فحبنا صحابه وتقدير مكانتهم وجهادهم أمر واجب ندين لله ، ويتحتم علينا أن نذكر محاسنهم وننشرها بين الناس ، نسكت عن كل ما يسيء إليهم(١) .

ويأتى فى الترتيب بعد أولئك العلماء العاملون ، لأنهم رثة الأنبياء ، وهم أكثر الناس خشية لله تعالى فندين لله سبحانه - باحترامهم واستماع علمهم ونصائحهم التأسى بمحاسن أخلاقهم ، والبعد عن الطعن فيهم ، لأن تشكيك فيهم يؤدى إلى فتنة فى الدين ، بل يجب النصح هم بما يليق مع مقامهم ، وندعو الله لهم بالحفظ الرعاية .

---

١) انتفعت واستعنت بمقدمة كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب ، والتى كتبت بقلم فضلية الشيخ / عبد الرحمن ابن ناصر بن سعدى .
ط . دار الأصالة ٥١ ش بولبتين - الإبراهيمية .
وانظر عقيدة أهل السنة والجماعة فى كتاب (اتحاف الكائنات) شيخ / محمود خطّاب السبكى ١٩٠ ، ١٩١

كـمـا أن من أركـان الإيمان أن نـؤمن بالقـدر كله ، وأ
جـميع أعمـال العبـاد خيرها وشرها قد أحـاط بها علم الل
- جلت حكمـتـه - وجـرى بـهـا قلمـه ، ونـفـذت فـيـهـا مـشـيـئـتـه
وتعلقت بها حكمتهُ ، حيث خلق للعباد قدرة وإرادة ، تق
بها أقوالهم وأفعالهم وفق مشيئته - سبحانه - ومع هـ
لم يجبرهم على شيء منها بل جعلهم مختارين لها .

ولذا اقـتـضـت حكمـتـه ورحـمـتـه اصطفـاء المؤمن
فـخـصـهم بـأن حـبـب إليـهم الإيمان وزينه فى قلوبهم ، وكر
إليـهم الكفر والفسوق والعصيـان بعدله وحكمـتـه ، حيـ
عدهم عنده - سبحانه - من عباده الراشدين .

ومن أصـول السنة أننـا ندين بالنصيـحـة لله ولكتـا
ورسوله ولأئمـة المسلمين وعامتهم ، فنأمر بالمعروف وننهى
عن المنكر فى ضـوء تـوجـيـهـات الشـريعـة ، فـهـذا منهـا
الصلاح والإصلاح فى المجتمع المسلم .

كما نأمر ببر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إل
الجيران ، والرحمة بالإنسان والطير والحيوان والخل
أجمعين ، وذلك ثابت فى كتاب الله (تعالى) وهَدْى رسو
الله (صلى الله عليه وسلم) .

وكذلك ندعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها ، وننهى عن مساوئ الأخلاق وأرذلها ، لأن ذلك كله يُعَدُّ من ضوابط تعمير الأرض والتمكين فيها وعليها ، كما أنها تُعَدُّ أمورًا تعبدية يثاب المسلم بالتحلى بها ، ويعاقب على التخلى عنها .

ونرى أن الجهاد فى سبيل اللّه (تعالى) ماضٍ إلى قيام الساعة ، وأنه ذروة سنام الدين ، وأنه فرض على كل مسلم دفاعًا عن دينه وعرضه ونفسه وماله ووطنه .

كما نؤمن أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، لأنه من وسائل التمكين فى الأرض ، تمكين العقيدة ، والسيادة فى الأرض وعليها ، وتمكين الأمة من امتلاك اقتصادها الذى يُعدُّ عصب الحياة .

ومن الأصول عندنا اتباعًا لسلفنا الصالح الدعوة إلى جمع كلمة المسلمين ، والسعى إلى وحدة الصف وتأليف القلوب والتحذير من التفرق والتعادى والتباغض .

* * *

وبعد .. فهذه إشارات وتوجيهات حول الأصول وتوابعها فى عقائد أهل السنة اقتداء برسول اللّه (صلى

اللّه عليه وسلم) وسلفنا الصالح من بعده .. ونحن فى الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية فى جمهورية مصر العربية وكل من اتبع منهجنا فى العالم الإسلامى ندين للّه (تعالى) بهذه العقائد ، لأنها أسلم وأحكم ، وبها نحيا ونعبد اللّه ربنا ، وعلى طريقه المستقيم نسير ، وبها نلقاه بعد موتنا على خير حال إن شاء اللّه ، وهو وحده من وراء القصد .

* * *

التوحيد الخالص

كلمة التوحيد هى : « لا إله إلا الله » من أجلها خلق الله الخلق ، وأرسل الرسل - صلوات ربى عليهم أجمعين ، فالله - جلت حكمته - هو وحده المعبود الذى يعبد لذاته ، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ . وقد أفصح - سبحانه - عن غاية التوحيد فقال - عز من قائل - :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

(الذاريات : ٥٦)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدونِ ﴾ . (الأنبياء : ٢٥)

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ . (النحل : ٣٦)

إلى غير ذلك من النصوص القاطعة الثبوت بوحدانيته - سبحانه - وصدق العبودية له وحده - جلت قدرته - .

ومن السنة الرشيدة فى بيان فضل التوحيد الخالص ما ورد متفقًا عليه عند البخارى ومسلم من حديث معاذ بن جبل (رضى الله عنه) قال :

كنت رديف النبى (صلى اللّه عليه وسلم) على حمار ، فـقـال لى : يا مـعـاذ ، أتدرى مـا حـق اللّه على العـبـاد ؟ وما حق العبـاد على اللّه ؟ قلت : اللّه ورسـوله أعلم ، قال : « حَقُّ اللّه عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » قلت : يا رسول اللّه ، أفلا أبشر الناس ؟ قال : « لاَ تُبَشِّرْهُم فَيَتَّكِلُوا » .

فكفى الأمة المسلمة فضلاً وخيرية ورقيًا بهذا الوعد من اللّه تعالى ورسوله (صلى اللّه عليه وسلم) .

ومما يزيد المؤمن طمانينة وعزًا وسعادة ليخلص فى توحيد اللّه وحده ما رواه ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) قال :

« قال موسى : يَا رَبِّ عَلِّمْنى شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قَالَ : قُلْ يَا مُوسىَ : لاَ إِلَهَ إلاَّ اللّه ، قَالَ : يَارَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا ، قال : يا مُوسىَ ، لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْع وَعَامِرَهنَّ غَيْرِى ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِى كِفَّةٍ ، وَلاَ إِلهَ إِلاَ اللّه فِى كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلهَ إِلاَ اللّه » .

ومن ثمَّ وجب على كل مسلم ومسلمة تحقيق شروطها ليجنى ثمرتها فى الدنيا هدوءا واستقرارًا وغنى وقناعة ، وفى الآخرة رضوان اللّه (تعالى) ليسعد فيحيا حياة طيبة ، ويرقى فى صحبة النبيين والصديقين والشهداء فى الجنة ، ومن أبرز شروط كلمة التوحيد :

١ - العلم بمعناها :

أى أن قائلها يثبت للّه - سبحانه - التوحيد الخالص ، وينفى عن ذاته ما نزَّه به ذاته من نفى الشركاء والصاحبة والولد وكل نقص لا يليق بذاته ، ذلك ؛ لأنه (تعالى) له الكمال المطلق .

٢ - العمل بمقتضاها :

فلا يليق بالمسلم أن يقول : « لا إله إلا اللّه » ثم لا يراقب اللّه فى قوله وعمله ، بحيث يقولها ويعمل ما ينافيها فعندئذ لا ينتفع بـ « لا إله إلا اللّه » ، ذلك ؛ لأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ومعيار ذلك النية وصدق التوجه للّه - سبحانه - والإخلاص فى الطاعات .

٣ - اليقين المنافى للشك :

فقائلها يجب أن يكون مستيقنًا بمدلولها وألا يخرج بعقله وفكره عن دائرة اليقين والجزم المطلق بأنه - سبحانه -

لا إله غيره ، فقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة - رضى اللّه عنه - أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) قال :

« أَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه وَأَنِّى رَسُولُ اللّهِ ، لاَ يَلْقَى اللّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

٤ - الانقياد لما دلت عليه :

فدلالة لا إله إلا اللّه : إثبات التوحيد الخالص له ونفى ما سوى ذلك ، فيجب الانقياد والإذعان والتسليم ويتجسد هذا المعنى فى قوله (تعالى) :

﴿ وأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ . (الزمر : ٥٤)

٥ - الصدق المنافى للكذب والإخلاص المنافى للشرك :

فيتحتم على المسلم أن يقولها صادقًا بلسانه مخلصًا بقلبه ، فيترجم اللسان ما وقر فى القلب .

٦ - الإخلاص :

وهو المعيار الدقيق والميزان الحساس لكل قول وعمل وذلك لأن تصفية العمل من شوائب الشرك وإخلاصه للّه بنية صادقة وعزيمة قوية هو الهدف الأسمى والغاية

تى يبتغيها المسلم ، لأنه لا ينتفع بقول ولا عمل إلا إذا ان خالصًا للّه وحده ، وصد اللّه إذا يقول :

﴿ أَلاَ لِلّهَ الدِّينُ الْخَالِصْ ﴾ . (الزمر : ٣)

وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة - رضى لّه عنه - أن النبى (صلى اللّه عليه وسلم) قال :

« أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِى مَنْ قَالَ لاَ إِلهَ إِلا اللّه خَالِصًا نْ قَلْبِهِ » .

٧ - المحبة لكلمة التوحيد ، ولما اقتضته ودلت عليه ، وحب أهلها العاملين بها ، الملتزمين بشروطها ، يغض ما ناقض ذلك :

ويتجسد هذا الشرط بمفهومه ومراده فى قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ حُبِّ اللّه وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًا لِلّهِ ﴾ . (البقرة : ١٦٥)

وفى صحيحى البخارى ومسلم من حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم) أنه قال :

« ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللّهُ رَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ

إلاَ لِلّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهْ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ » .

٨ - تحقيق العبودية لله وحده :

من كان صادقًا مخلصًا في كلمة التوحيد عَبَدَ اللّه عبادة رشيدة سديدة أي أنه : (يعبد اللّه كما أمر اتباعًا لرسوله (صلى اللّه عليه وسلم) كما هدى) ، عندئذ يكون صادقًا مخلصًا في تحقيق شروطها عاملاً بمقتضاها فيسلم - إن شاء اللّه تعالى - في الدنيا والآخرة ، هذا والشروط السابقة لها شواهد من الكتاب والسنة لا يتسع المقام لعرضها .

واللّه وحده من وراء القصد وهو أعلم بمراد عباده .

* * *

أنواع التوحيـــد

ما سبق عرضه يوجب علينا أن نعلم علمًا يقينيًا جازمًا لا يدع مجالاً للشك أن التوحيد المطلق لله وحده، وأنه الرب المنفرد بصفات الكمال والعظمة والجلال، فيجب إفراده وحده بالعبودية الخالصة تحقيقًا لقوله (تعالى) :

﴿ إِيَّاكَ نعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . (الفاتحة : ٥)

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةَ ﴾ .

(البينة : ٥)

وفى ضوء ذلك وجب أن نعلم أن أنواع التوحيد الخالص ثلاثة :

أحدها : <u>توحيد الربوبية</u> :

والمراد : الاعتقاد الجازم بأن اللّه – جلت قدرته – هو رب كل شىء، ولا رب سواه، ولذا وجب الإقرار بأنه – سبحانه – خالق الخلق ومالكهم، ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، ونافعهم وضارهم، يجيب دعاء المضطر إذا دعاه، وهو القادر عليهم، والقاهر فوق عباده، معطيهم ومانعهم، يُطْعِمُ، ولا يُطْعَمُ، يُجِير ولا يُجَار عليه ... إلى غير ذلك مما

يتصل بقدرته ، وسلطانه ، وتدبير شئون عباده ، قا
(تعالى) :

﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(الأعراف : ٥٤

ومن ثَمَّ فهو الجدير بالعبودية وحده بأن يعبده الخل عبادة صادقة ، وهو الجدير أيضًا بالخضوع والخشوع ا والتذلل إليه ، والخوف منه ، والاستعانة به ، والتضر إليه ، والرجاء فيه ، وهو المستحق وحده للحمد والشكر ا والثناء عليه ، لأن نعمه التى أسبغها علينا ظاهرة وباطن لا تُعدُّ ولا تحصى ، وعجزنا عن الإتيان بنعمة واحد يجعلنا نخلص الشكر والعبودية له .

الثانى : توحيد الألوهية :

ويطلق عليه : (توحيد العبادة) وهو العلم والإقرا بالقلب والاعتراف باللسان بأن اللّه – جلت حكمته وقدرته ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وأنه المنفر وحده بالعبادة كلها ، وإخلاص الدين له وحده ، وبهذ يستلزم توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات ؛ لأ الألوهية صفة تعم أوصاف الكمال ، وجميع أوصاف الربوبية والعظمة .

ولقد عرّف بعض العلماء توحيد الألوهية فقال :
« إنه كمال الحب مع كمال الخضوع »[1] .

ومن هنا كانت كلمة التوحيد (لا إله إلا اللّه) متضمنة جميع أنواع التوحيد : أى توحيد اللّه فى ألوهيته ، الذى تضمن توحيد اللّه فى ربوبيته وأسمائه وصفاته[2] .

الثالث : توحيد الأسماء والصفات :

هو الاعتقاد المطلق الجازم بانفراد الرب - سبحانه - لكمال والعظمة والكبرياء من جميع الوجوه فى أسمائه صفاته ، وأن ما أثبته اللّه (تعالى) لذاته منها وأثبتها سوله (صلى اللّه عليه وسلم) له - سبحانه - مقطوع بوتها له - جلت قدرته - والإيمان بها واجب ، وأنها اته (تعالى) وحده ، لا يشاركه فيها مشارك بوجه من وجوه ، وأن إثباتها له يكون على الوجه اللائق بعظمته جلاله وجماله من غير نفى لشىء منها ، ولا تعطيل ، لا تحريف ، ولا تمثيل .

كما يجب نفى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى اللّه عليه وسلم) من النقائص والعيوب ، وعن كل ا ينافى كماله .

---

١) انظر شرح قصيدة ابن القيم ٢ : ٢٥٩ - وإغاثة اللهفان ٢ : ١٢٨ ، ١٢٩
٢) الإيمان (أركانه - حقيقته - نواقضه) ، للدكتور / محمد نعيم يسن - ص ١٢

ودليلهم على ذلك قوله – سبحانه – :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ . (الإخلاص

وقوله (تعالى) : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِي الْبَصِيرُ ﴾ . (الشورى : ١١

وقال – عز من قائل – : ﴿ وَلِلَّه الأَسْمَاءُ الْحُسْنَ فَادْعُوه بِهَا ﴾ . (الأعراف : ١٨٠

وتوجيه القول على دعاء المسألة ودعاء العبادة .

فالمسألة تقدم بين يدى المطلوب باسم من أسماء الل (تعالى) يكون مناسبًا لطلبه كأن يقول : يا رحم ارحمنى ، يا غفور اغفرلى ، يا تواب تب علىّ ... وهكذا وللعباد أن يتعبدوا للّه (تعالى) بهذه الأسماء ، فنذكر باللسان ، لأنه السميع ، ونخشاه فى السر ، لأنه اللطيف الخبير ... وهكذا .

ومن ثَمَّ وجب الاعتقاد الجازم بأن أسماء الل – سبحانه – كلها قد بلغت فى الحسن غايته ، لأنها شاما لجميع أوصاف الكمال ، فلا نقص فيها تعالى اللّه ع النقائص علوًا كبير .

(فالحى) - جل جلاله - اسم من أسماء اللّه (تعالى) متضمن للحياة الكاملة التى لم تسبق بعدم ، ولا ولن يلحقها زوال ، أى أنها الحياة المستلزمة لكمال الصفات كالعلم والقدرة والسمع والبصر ، وغيرها من الصفات الأخرى .

وكذلك (العليم) : اسم من أسمائه (تعالى) متضمن للعلم الكامل الذى لم يسبق بجهل ، ولا يلحقه نسيان ، قال (تعالى) :

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى فِى كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّى وَلاَ يَنْسَى ﴾ .
(طه : ٥٢)

فعلمه - سبحانه - أحاط بكل شىء جملة وتفصيلاً ، سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه ، فسبحان من أحاط بكل شىء علمًا ، وأحصى كل شىء عددًا يقول - سبحانه - :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ .
(الأنعام : ٥٩)

ولما كانت أسماء اللّه (تعالى) وصفاته قد وردت إلينا بأدلة قطعية الثبوت وجب الإيمان بها على أنها توقيفية ،

أى : يتوقف إثباتها أو نفيها على الكتاب والسنة ؛ لأنه ليس للعقل مجال فى البحث حولها .

كما يجب الإيمان بأنها من المحكم فى معناها ، لأن معناها معلوم ، فلا مجال لتأويله ، وأنها من المتشابه فى حقيقتها ؛ لأن حقائقها لا يعلمها إلا اللّه وحده ، ومن ثَمَّ فلا مجال لصرفها عن ظاهرها .

فالتفويض المطلق فى علم معانيها وحقائقها يكون للّه وحده .

وهذا هو مذهب السلف الصالح وما عليه أهل السنة والجماعة وجمهور علماء الأمة .. وهذا ما ندين للّه (تعالى) به فى الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية .

نقل الإمام الراحل مؤسس الجمعية الشرعية فضيلة الشيخ / محمود محمد خطّاب السبكى - طيب اللّه ثراه وغفر له - بعد أن ذكر مذهب السلف والخلف فى المتشابه فى كتاب : (اتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف فى المتشابهات ورد شبه الملحدة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتريات)[1] .

---

(١) انظر إتحاف الكائنات للشيخ/ محمود خطاب السبكى : ص ١٨٢ ط - الاستقامة سنة ١٣٥٠ هـ .

قال : قال الحافظ بن حجر فى فتح البارى ، قال إمام الحرمين فى الرسالة النظامية : اختلفت مذاهب العلماء فى هذه الظواهر :

فرأى بعضهم : تأويلها ، والتزم ذلك فى آى الكتاب وما يصح من السنن .

وذهب أئمة السلف : إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها إلى اللّه - عز وجل - .

والذى نرتضيه رأيا وندين اللّه به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة ، فلو كان تأويل هذه الظواهر حتمًا فلا شك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة .

وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع .

قال الحافظ : وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثورى والأوزاعى ومالك والليث ومن عاصرهم ، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة ، فكيف لا يوثق بما اتفقت عليه القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة (صلى اللّه عليه وسلم)(١) .

---

(١) السابق : ص ١٨٢

قال أبو بكر - رضى اللّه عنه - : سبحان من لا يوصل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .

وقال الإمام مالك - رضى اللّه عنه - : كل ما يقع فاللّه بخلافه ، وذلك أن كل ما يقع فى القلب إنما هو خلق من خلق اللّه تعالى ولا يشبه الخالق المخلوق .

وقال الشافعى - رضى اللّه عنه - : آمنت باللّه كما أمر اللّه ، فهو الواحد الأحد الموجود بلا ابتداء الباقى بلا انتهاء ، الظاهر بصفاته وأفعاله ، الباطن بكنهه وذاته .. إلخ[١] .

والشيخ / محمود خطاب السبكى يُعدُّ مجدِّدًا لهذه الأمة أمر دينها حيث أخذ بيدها من تيه الجهالة والسقوط فى البدع والخرافات فأحيا السنة الرشيدة ، ونبذ البدعة وأماتها ، ودافع دفاعًا مستميتًا عن إحياء سنة النبى (صلى اللّه عليه وسلم) واتباع منهجه الذى ارتضاه اللّه لهذه الأمة ، فعلمها كيف تعبد اللّه كما أمر اتباعًا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) كما هدى ، فرجع بالأمة إلى فجر الإسلام وضحاه تمسكًا بعقيدة السلف الصالح جملة وتفصيلاً من غير زيغ ولا خروج ؛ لأنه على يقين أن العبادات بل وجميع الطاعات لا تكون مقبولة إلا فى ضوء عقيدة صحيحة .

---

(١) انظر هذه الأقوال فى المصدر السابق : ص ١٩١

فكتابه : (إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف الصالح والخلف فى المتشابهات وردّ شبه الملحدة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتريات) وما فيه من عرض الآراء وأصحاب المذاهب فى المتشابهات واختياره مذهب السلف ، لأنه أسلم وأحكم لخير دليل على أنه سلفى العقيدة ، وعلم أتباعه أن يدينوا اللّه به بعيدًا عن الشبه والافتراءات .

والجمعية الشرعية إمامًا وعلماء ، ووعاظًا وأتباعًا وعاملين هذه عقيدتهم التى يدينون اللّه بها .

كما أن كتابه (الدين الخالص) فى الجزء الأول منه عندما تحدث فيه عن علم التوحيد ... ووجه القول فى مذهبى السلف والخلف فى المتشابه قال - أى : الإمام محمود السبكى :

« ... ومذهب السلف أسلم ؛ لأنه يحتمل أن اللّه - عز وجل - أراد معنى فى الآية غير ما فسرها به الخلف »[1] .

ويمكن مراجعة توجيهاته لآراء المذهبين واختياره لمذهب السلف فى كتاب الدين الخالص[2] .

- واللّه وحده أعلم بمراد عباده .

---

(١) انظر الدين الخالص ١ : ٢٧

(٢) انظر الدين الخالص ١ : ٢٧ - ٥٠

ما يتعلق بذات الله تعالى من واجب ومستحيل وجائز

مما سبق يُحتِّم علينا وجوبًا أن نوقن بأن توحيد الله يقضى بإفراده تعالى بالعبودية مع اعتقاد وحدته ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً ، وأنه جلت حكمته - يتعلق بذاته أمور منها : الواجب فى حقه ، والمستحيل ، والجائز ، وإليك موجز القول عنها :

أولا : الواجب فى حقه تعالى

الواجب : هو الأمر الثابت الذى لا يقبل الانتفاء .

ومن ثَمَّ يجب على المكلف أن يعتقد أن الله تعالى متصف بالصفات الجليلة القديمة الثابتة بالأدلة التفصيلية قطعية الثبوت ، وهى ثلاث عشرة :

١ - (الوجود) : فاللّه - جلت قدرته - موجود بلا ابتداء قبل وجود جميع الحوادث من عرش وكرسى وسماوات وأرضين .. وغيرها من سائر العوالم .

والدليل على ذلك : خلقه تعالى السماوات وما فيها من الكواكب والملائكة والأرض وما فيها من الجبال والرمال والأشجار والأحجار والبحار والأنهار والحيوانات والجمادات ، وسائر المخلوقات ؛ لأن الصنعة لابد لها من

صانع موجود ، له أثره فى صنعته ولا يعقل أن يوجد المخلوق قبل الخالق والنصوص القطعية فى ذلك كثيرة فى كتاب اللَّه - تعالى - ، منها قوله :

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم خَالِقُ كلِّ شَيء لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ .

(غافر : ٦٢)

ومن المعلوم البدهى أن موجد الشىء لا يكون معدومًا ؛ لأن المعدوم لا يعطى الوجود .

٢ - القدم : القديم هو الذى لا أول لوجوده تعالى ، وأنه لم يسبقه عدم لقوله تعالى :

﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيمٌ ﴾ . (الحديد : ٢)

أخرج البخارى عن عمر أن بن حصين - رضى اللَّه عنه - أن النبى - صلى اللَّه عليه وسلم - قال :

« كَانَ اللَّهُ وَلَّم يَكُنْ شَىءٌ قَبْلَهُ وكَاَن عَرْشُهُ عَلَى الْماَءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وكَتَبَ فى الذِّكْرِ كُلَّ شَىءٍ » .

٣ - (البقاء) : أى أنه تعالى لا انتهاء لوجوده ، وأنه لا يلحقه عدم ، لقوله تعالى :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ . (الرحمن : ٢٧)

وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ . (القصص : ٨٨)

ولأن من ثبت قِدمه استحال عدمه .

٤ - مخالفته تعالى للحوادث : ومعناه عدم مماثلته تعالى لشيء من الحوادث لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال .

والدليل القاطع على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ . (الشورى : ١١)

ولأنه لو ماثل شيئًا منها لكان حادثًا مثلها ، والحدوث مستحيل في حق الخالق سبحانه .

٥ - (قيامه تعالى بنفسه) : أي : أنه تعالى موجود بلا موجد ، وغني عن كل ما سواه ، وأنه متصف بصفات الكمال ، منزه عن صفات النقص .

دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ . (فاطر : ١٥ ، ١٦)

ولأنه لو احتاج إلى شيء لكان عاجزًا وحدوثه محال فاحتياجه محال .

٦ - الوحدانية فى الذات والصفات والأفعال : أى
ن ذاته ليست مركبة ، وليس لغيره ذات تشبه ذاته ، وأنه
يس له صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين ، وليس
غيره صفة كصفته ، وأن الأفعال كلها خيرها وشرها ،
ختياريّها واضطراريّها مخلوقة للّه وحده بلا شريك
لا معين . ودليل ذلك قوله سبحانه :

﴿ وإلهُكُمْ إلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ .

(البقرة : ١٦٣)

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . (الصافات : ٩٦)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ
خَالِقٍ غَيرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لاَ إِلَه إلاَّ هُوَ
فَأنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ . (فاطر : ٣)

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدُ ﴾ .

أى : أن اللّه - جلّت قدرته - هو المعبود بحق المتصف
بكل صفات الكمال الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله
المقصود فى قضاء حوائج الخلق على الدوام ، الذى ليس
بوالد ولا مولود ولا شبيه له ولا نظير[1] .

---

(١) انظر الدين الخالص ١ : ١٧ ، ١٨

توجيهات تربوية فى ضوء سورة الإخلاص :

(أ) إثبات ألوهية اللّه تعالى المستلزمة لا تصافه بكل
صفات الكمال كالعلم والقدرة والإرادة ... ونحوها

(ب) إثبات أحديته سبحانه الموجبة تنزهه تعالى عن
التعدد والتركيب وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز
والمشاركة فى الخلقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة
الذاتية والحكمة التامة .

(حـ) إثبات صمديته تعالى المقتضية استغناءه عن كل
ما سواه ، وافتقار كل ما عداه إليه فى الوجود والبقاء إلى
الأجل المحتوم وسائر الأحوال .

(د) إبطال زعم من زعم افتراء على اللّه كذبًا أن له ولدًا
كاليهود والنصارى بقوله : « لم يولد » لأن الولد من جنس
أبيه ، واللّه لا يجانسه أحد ولا يجانس أحدًا ، ولا يفتقر
إلى من يعينه أو يخلفه لامتناع احتياجه وفنائه .

(هـ) إثبات قدمه بقوله : « ولم يولد » أى : لم يفصل عن
غيره ، وهذا لا نزاع فيه ، وإنما ذكر لتقرير ما قبله إذ
المعهود أن مالا يولد لا يلد .

(و) نفى مماثله شىء له فى أى زمان كان ، ومن زعم أن

نفى الكفء فى الماضى لا يدل على نفيه فى الحال والكفار يدعونه ، فمن زعم ذلك فقد غفل ؛ لأن مالم يوجد فى الماضى لا يكون فى الحال ضرورة أن الحادث لا يكون كفئًا القديم(١) .

٧ – (الحياة) : هى صفة قديمة قائمة بالذات العلية صحح لموصوفها الاتصاف بالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر .. ونحوها من الصفات اللائقة بذاته تعالى ، كما أن حياته ليست بروح .

ودليل ذلك قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ . (آل عمران : ٢)

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ . (طه : ١١١)

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ ﴾ . (الفرقان : ٥٨)

٨ – (العلم) : وهو صفة وجوديه قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود ؛ واجبًا كان أو جائزًا ، وبكل معدوم : مستحيلاً كان أم ممكنًا ، فهو تعالى يعلم وجود ذاته وصفاته ، وأنها قديمة لا تقبل العدم ، ويعلم أنه لا شريك له ، وأن وجود الشريك محال ، ويعلم جواز حدوث الممكن وعدمه ، ويعلم فى الأزل عدد من يدخل الجنة ومن

---

(١) انظر السابق – بتصرف ١ : ١٨

يدخل النار جملة واحدة ، فلا يزاد فى ذلك العدد ولا ينقص
منه ، ويعلم أفعالهم ، وكل ما يكون منهم ، فهو عالم بكل
الأمور لا تخفى عليه خافية .

والأدلة على ذلك كثيرة يكفينا منها قوله تعالى :

﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ . (الملك : ١٤

﴿ إِنَّمَــا إِلَـهُكُمُ اللَّهُ الَّذِى لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْ
عِلْماً ﴾ . (طه : ٩٨

﴿ لِتَـعْلَمُـوا أَنَّ اللَّهَ عَلَـى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ . (الطلاق : ١٢

٩ - (الإرادة) : هى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته
تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه ، كوجود
المخلوق فى زمن دون غيره ، وفى مكان دون آخر
وهكذا .

دليل ذلك قوله سبحانه :

﴿ فَعَّالٌ لِماَ يُرِيدُ ﴾ . (البروج : ١٦

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ . (القصص : ٦٨

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ
لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ . (الشورى : ٤٩

١٠ - (القدرة) : هى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه :

دليل ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاق ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ . (الذاريات : ٥٨)

﴿ وكَانَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ . (الكهف : ٤٥)

﴿ وَهُوَعَلَى كُلِّ شَىءٍ قِدِيرٌ ﴾ . (الروم : ٥٠)

ولأنه لو لم يكن قادرًا لكان عاجزًا ، وعجزه محال ، كيف وهو خالق كل شىء ؟

١١- (السمع) : هو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود ، واجبًا أو ممكنًا ، صوتًا أو لونًا ، ذاتًا أو غيرها .

فهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء بلا أذن ولا صماخ .

١٢ - (البصر) : هو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود ، واجبًا أو جائزًا ، جسمًا أو لونًا أو صوتًا أو غيرها بلا حدقة وهذه صفة إحاطة غير إحاطة العلم والسمع .

والدليل على أنه سميع بصير قوله - جلت قدرته -

﴿ فَاسْتَعِذْ باللَّهِ إنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

(غافر : ٥٦)

﴿ إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ . (الحج : ٥٧)

ولأنه تعالى لو لم يكن سميعًا بصيرًا لكان أصم أعمى ، وهو نقص - تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرًا .

١٣ - (الكلام) : هو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تدل على كل موجود ، واجبًا أو جائزًا ، وعلى كل معدوم محالاً أو جائزًا .

وليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بجهر ولا سر ، ولا تقديم ولا تاخير ، ولا وقف ولا سكوت ، ولا وصل ولا فصل ؛ لأن هذا كله من صفات الحوادث ، وهي محالة عليه تعالى .

ودليله قوله تعالى :

﴿ وكَلَّم اللَّهُ مُوسىَ تَكْلِيمًا ﴾ . (النساء :١٦٤)

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِه مَدَدًا ﴾ . (الكهف : ١٠٩)

ولأنه تعالى لو كان غير متكلم لكان أبكم ، والبكم نقص محال فى حقه تعالى . هذا ؛ وله تعالى صفات غير ذلك كالجلال والجمال والعزة والعظمة والكبرياء والقوة -

وهى غير القدرة - والوجه والنفس والعين واليد والأصابع والقدم ، والمحبة والرضا والفرح والضحك والغضب والكراهة والعجب والمكر .. ونحو ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة .

فيجب الإيمان بها بلا كيف ، فنقول : له تعالى يد لا كالأيدى ونفوّض معرفة ذلك وتفصيله إلى اللّه تعالى ولا نؤول أن يده تعالى قدرته أو نعمته وأمثال ذلك ؛ لأن فيه - أى : فى التأويل - إبطال الصفة التى دل عليها الكتاب والسنة .

ولكن نقول : يده صفة له بلا كيف .. وهكذا ، وغضبه ومكره واستهزاؤه - غير انتقامه وغير إرادة الانتقام - بل من صفاته بلا كيف .

ذكر ذلك الإمام الراحل محيى السنة ومميت البدعة الشيخ / محمود بن محمد بن خطاب السبكى - يرحمه اللّه - مؤسس الجمعية الشرعية ، ثم قال :

(وهذا مذهب السلف فى المتشابهات ، وبه نقول .

فهذا إفصاح صريح منه - غفر اللّه له - عن مذهبه الاعتقادى ، وهو أنه سلفى العقيدة ، وهذا أيضا ما ندين اللّه به نحن أئمة وعلماء الجمعية الشرعية وجميع من سلك طريقنا وعبد اللّه تعالى وفق ما أمر اتباعًا لرسوله - صلى اللّه عليه وسلم - كما هدى .

وأن منهاجنا التعبدى فى مساجدنا يؤدى كما كان عليه رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وخلفاؤه الراشدون وصحبه الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين -

وما ذكرته هو ما يلزم اعتقاده ومعرفته تفصيلاً من الواجب فى حق الله تعالى .

أما الواجب معرفته إجمالاً : فهو اعتقاد المكلف أن الله تعالى متصف بكمالات موجودة تليق به تعالى لا نهاية لها يعلمها الله تعالى تفصيلاً ، ويعلم أنها لا نهاية لها ؛ لأنه لو انتفى عنه تعالى شىء من الكمال الذى يليق به لكان ناقصًا ، والنقص محال فى حقه لاستلزامه الحدوث المحال عليه تعالى - والله وحده أعلم بذاته ومراده .

ثانيا : ما يستحيل فى حق الله تعالى(١)

مما سبق وجب أن نعلم أن توحيد الألهية والربوبية والأسماء والصفات توجب اليقين المقطوع به أن الله - جلت حكمته وقدرته - واحد أحد فى ذاته وصفاته ، منزه عن مماثلة غيره من الحوادث ، ومن ثمَّ استحال فى حقه ما يأتى :

(١) انظر الدين الخالص ١ : ٢٣ ، ٢٤ - بتصرف وشرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبى العز الدمشقى ١ : ٣٨ - ٤١ - بتصريف .

١ - استحالة وجود شريك له سبحانه :

ذلك ؛ لأن الإله الحق لابد أن يكون خالقًا فاعلاً ، يُوصلُ إلى عابده النفع ، ويدفع عنه الضُّرَّ ، فلو كان معه سبحانه إله آخر يَشْرَكُه فى مُلكه لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة ، بل إن تمكن من قهر الشريك لينفرد بالملك والإلهية دونه لفعل ، وإن لم يقدر على ذلك ، انفرد بَخلْقه ، وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدينا بعضهم عن بعض بممَالكه ، والأمر لا يخلو من أحد أمور ثلاثة :

(أ) إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .

(ب) وإما أن يعلو بعضهم على بعض .

(حـ) وإما أن يكون تحت قهر مَلِكٍ أو إله يتصرف فيهم كيف يشاء ، ولا يتصرفون فيه ، بل يكون وحده هو الإله ، وهم العبيد المربوبون المقهورون عن كل وجه ، وكل ذلك يستحيل فى حقه تعالى .

ولذا وجب أن يكون هذا المُلك يملكه إله واحد يتصرف فيه كيف يشاء بقدرته وإرادته ، ويدبر شئون مخلوقاته ، وهو ذلك الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى أوضح عن ذاته وسلطانه فى قوله تعالى :

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ ﴾ . (المؤمنون : ٩١)

وقوله سبحانه :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ . (الأنبياء : ٢٢)

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ .

(الأعراف : ١٩١)

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

(النحل : ١٧)

٢ - استحالة صفات مقابلة للصفات الواجبة له تعالى :

منها على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) العدم والحدوث : وهو الوجود بعد عدم ، والفناء ومماثلته للحوادث فى الذات ، بأن يكون جسمًا مركبًا أو حالاً فى مكان .. إلخ ذلك لأنه لا يماثل خلقه .

(ب) احتياجه لموجد : أى أنه يستحيل فى حقه الاحتياج لموجد أو ذات يقوم بها .

(جـ) التعدد فى الذات : فيستحيل فى ذاته أن يكون مركبًا يقبل الانقسام أو يكون هناك ذات كذاته .

وكذلك يستحيل التعدد فى الصفات بأن يكون له صفتان من جنس واحد .. فلا يكون له علمان ولا قدرتان ، أو يكون لغيره صفة كصفته .

وكذلك الحال فى الأفعال فيستحيل أن يكون لغيره تأثير فى شىء من الأشياء ، ذلك لأنه سبحانه هو المؤثر وحده فى جميع الأشياء وهو الخالق وحده للأفعال .

(د) يستحيل فى حقه تعالى الموت وما فى معناه : كالنوم والإغماء ، قال تعالى :

﴿ اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ الْحَىُّ الْقَيُّـومُ لاَ تَأْخُـذُه سِنَةٌ وَلاَ نَوْمُ ﴾ . (البقرة : ٢٥٥)

(هـ) يستحيل فى حقه الجهل وما فى معناه : كالظن والشك والوهم والغفلة والذهول والنسيان .

(و) يستحيل فى حقه وجود شىء من الحوادث بلا إرادته : بأن يكون بطريق الطبع أو العلة ، ذلك لأنه لا يقع فى ملكه إلا ما قدره بقدره ورضائه ، وصدق إذ يقول :

﴿ إنَّا كُلَّ شَىءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ . (القمر : ٤٥)

(ز) يستحيل فى حقه تعالى العجز وما فى معناه : كسمعه الجهر دون السر وكاختصاصه بالأموات دون الأحياء ....

(ح) يستحيل فى حقه العمى وما فى معناه : كالعَشَى - بفتحتين مقصورًا - وهو عدم الإبصار ليلاً ... إلخ .

(ط) البكم : وهو الخرس وما فى معناه كالعىّ والسكوت .

فالله - جلت قدرته - قديم فى ذاته وصفاته ، وأن ما يقع فى ملكه بقضائه وقدره وإرادته ، وليس لأحد سلطان عليه ولا معه ، هو المنفرد بالبقاء وكل مخلوقاته إلى فناء ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ﴾ .

(الشورى : ١١)

ومن ثَمَّ فإنه يستحيل فى حقه ما ينافى صفاته أو ما يكون فى معناها ، ذلك ؛ لأنه منزه عن كل نقيصة كما له فى ذاته وصفاته - وهو وحده أعلم بذاته -

ثالثا : ما يجوز فى حق الله تعالى

من المعلوم المؤكد الذى يجب أن نعتقده أن جميع المخلوقات والأفعال خلقها الله - سبحانه - قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . (الصافات : ٩٦)

أى : وخلق أعمالكم .

وهو سبحانه : ﴿ لاَ يُسأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ . (الأنبياء : ٢٣)

ومن ثَمَّ يجوز فى حقه تعالى أمور منها :

١ - فعلُ كل ممكن أو تركه ؛ ذلك ؛ لأنه متفضل بالخلق والتكليف والإنعام والإحسان ... لا عن وجوب ولا إيجاب .

﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ . (البقرة : ١٠٥)

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ . (النحل : ٩٣)

٢ – تعذيب المطيع عدلاً وإثابة العاصي فضلاً منه :

فيجوز في حقه تعالى عقلاً وقوع ذلك ؛ لأنه سبحانه خالق للطاعة مع تنزهه عن الانتفاع بها ، وخالق المعصية مع تنزهه عن التضرر بها .. قال تعالى :

﴿ من عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ . (فصلت : ٤٦)

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة .

٣ – رؤيته تعالى بالأبصار وغيرها خرقًا للعادة :

وذلك بلا اتصال الأشعة به سبحانه ، ولا كيفية ولا انحصار في جهة ، قال تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

(القيامة : ٢٢، ٢٣)

٤ – إنزال الكتب وإرسال الرسل : وهذا جائز في حقه تعالى للبيان والتبشير والإنذار ، قال تعالى :

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ .
(آل عمران : ٤)

﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ . (النساء : ١٥٦)

وبعد .. فإن ما سبق بيانه يُعَدُّ بيانًا لما يجب فى حق الله تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز له تعالى ، فهو سبحانه متصف بصفات الجلال والكمال التى تليق بعظمته وكبريائه وسلطانه على مخلوقاته الثابتة له تعالى فى قرآنه المحكم وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - الرشيدة .

كما أنه تعالى منزه عن كل نقص ، وعن مشابهته للحوادث . - والله تعالى أعلم بذاته -

* * *

أنواع التوحيد الباطلة

التوحيد الصحيح هو توحيد الرسل الذين جاءوا به ، ولأجله أرسلهم اللّه تعالى لهداية خلقه وهو :

« إثبات صفات الكمال للّه وحده ، وإثبات كونه فاعلاً بمشيئته وقدرته واختياره ، وأن له فعلاً حقيقة ، وأنه وحده الذى يستحق أن يعبد ويخاف ويرجى ويتوكل عليه ، فهو المستحق لغاية الحب بغاية الذل ، وليس لخلقه من دونه وكيل ، ولا ولى ، ولا شفيع ، ولا واسطة بينه وبينهم فى رفع حوائجهم إليه ، وفى تفريج كرباتهم ، وإجابة دعواتهم[١] » .

وقد بينت القول فى هذا التوحيد الخالص فيما سبق فى هذا الكتاب . ولكن أهل الباطل فى كل زمان ومكان يزجون بباطلهم لينفثوا سمهم وليثيروا غبار الغفلة على أصحاب القلوب الخاوية من التوحيد الخالص للّه وحده فيضللون العقول ، ويشعلون لهيب الفتن بين الناس .

وأهل الضلالة فى ذلك أربعة أنواع[٢] :

---

(١) انظر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطله لابن قيم الجوزية ١ : ١٢٩ - ط ونشر مكتبة المتنبى بالقاهرة .
(٢) انظر المصدر السابق ١ : ١٢٧ - ١٢٩ - بتصرف .

١ – توحيد الفلاسفة . ٢ – توحيد الجهمية .

٣ – توحيد الجبرية والقدرية .

٤ – توحيد الاتحادية .

أما توحيد الفلاسفة : فهو إنكار ماهية الرب الملازمة له – سبحانه – مع وجوده ، وإنكار صفات كماله ، وأنه لا سمع له ولا بصر ، ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة ، ولا كلام ، ولا وجه ولا يدين ...

قالوا : لأنه لوكان كذلك لكان مركبًا وكان جسمًا مؤلفًا ، ولم يكن واحدًا من كل وجه .. إلخ .

وأما توحيد الجهمية : فهو مشتق من توحيد الفلاسفة ، وهو نفى صفات الرب كعلمه وكلامه وسمعه وبصره وحياته وعلوه على عرشه ، ونفى وجهه ويديه .

وقطب رحى هذا التوحيد جحد حقائق أسمائه وصفاته .

وأما توحيد القدرية والجبرية : فهو إخراج أفعال العباد من أن تكون فعلاً لهم ، وأن تكون واقعة بإرادتهم وكسبهم ، بل هى نفس فعل الله تعالى ، فهو الفاعل لها دونهم ، ونسبتها إليهم وأنهم فعلوها ينافى التوحيد عندهم .

وأما توحيد الاتحادية القائلين بوحدة الوجود :

فالوجود عندهم واحد وليس عندهم وجودان : (قديم وحادث ، وخالق ومخلوق ، وواجب وممكن) .

بل الوجود عندهم واحد بالعين ، والذى يقال له الخلق المشبه هو الخلق المنزه ، والكل من عين واحدة ، بل هو العين الواحدة .

فأولئك أهل الباطل جعلوا هذه الأنواع توحيدًا ، ولا يخفى علينا بطلانها وأن القائلين بها لا عقل عندهم ، بل هم أضل من الأنعام ، لأن الحق ظاهر ولا يحتاج إلى برهان فلا ينكره إلا غافل مضل .

لذلك أفرد ابن قيم الجوزية لهم كتابًا أسماه (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) رد فيه عليهم وأبطل حججهم وأسكت ألسنتهم ، بل قطعها .

ولقد أفصح المعصوم رسولنا - صلى الله عليه وسلم - عن التوحيد الخالص المتجرد من أى شائبة وذلك فى حجة الوداع فيما رواه عنه جابر - رضى الله عنه - قال : أهل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتوحيد :

« لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَك لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ » .

فـهـذا توحـيـد الرسـول - صلى اللّه عليـه وسلم - المتضمن لإثبات صفات الكمال التى يستحق عليها الحمد ، ولإثبـات الأفـعـال التى يسـتـحق بـهـا أن يكون مُنْعِـمًـا ، ولإثبـات القـدرة والمشـيئـة والإرادة والـتـصـرف والـغـضـب والرضا والغنى والجود الذى هو حقيقة ملكه .

لذلك ثبت له توحـيـد الألوهيـة والربوبيـة والأسـمـاء والصفات . وهذا هو عين التوحيد الخالص للّه رب العالمين ، ولا خلاف بين أهل الحق فى إثبات ذلك للّه وحده .

ولكن الخلاف الذى وقع بين السلف والخلف من علماء الأمـة كـان فـيـمـا يـتـصـل بالـتـفـويض أو الـتـأويل فى الـعلم بمعانى صفات الكمال الثابتة للّه وحده وسوف أخصص المبـحث الـتـالـى لبـيـان وجـه الحق الذى تمسك به سلفنا الصالح ، والذى ندين للّه تعالى به ، وندافع عنه ، ونرجو اللّه أن نلقاه عليه وهو وحده من وراء القصد .

* * *

عقيدتنا فى المتشابه

لا خلاف بين السلف والخلف فى أن اللّه تعالى : ﴿ له الأسماء الحسنى ﴾ فنسميه كما سمى نفسه ، وننسب إليه ما نسب لنفسه مع يقينهم أنه سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وأن صفاته تعالى قديمة وهى ثابتة له صفات جلال وكمال ، فكل ما يخطر لنا ببال فاللّه - جلت حكمته - بخلافه ، له المثل الأعلى والصفات العليا والأسماء الحسنى .

أما ما يتعلق بالآيات والأحاديث المتشابهة فقد أجمع السلف والخلف - رضى اللّه عنهم - على أنها مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ . (سورة الإخلاص)

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

(الشورى : ١١)

وأما اختلافهم فقد وقع فى بيان معانى تلك الآيات والأحاديث ، وهو ما عبر عنه الناظم فى قوله :

إِنْ كَانَ لَفْظ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا   أوِّلْهُ أَوْفَوِّضْ وَرُمْ تَنْزِيهَا

فالسلف : يفوضون علم معانيها للّه تعالى ، فيقولون : إن الاستـــواء فى آية : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى ٱلعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (طه : ٥) لا يعلمــه إلا اللّه تعـالى مع جـزمـهم بأنـه - جل جلاله - يستحيل عليه الاستقرار على العرش أو اتصاله به أو جلوسه عليـه ؛ لأنه تعـالى إله قديم موصوف باستوائه على العرش قبل خلق العرش ، لأن القرآن الكريم الذى منه الآية موجـود قبل إيجـاد العرش ، فكيف يـعقل أنه استـقر على عـرش غـيـر مـوجـود ؟ ولما خلق الخلق لم يحـتج إلى مكان يَحِلُّ فــيــه ، بل هو غنى عنه ، فــهـو تـعـالى لـم يزل بالصفة التى كان عليها .

هذا ، وقـد وجـه القـول فى ذلك المفسـر السلفى القـدير الإمام الحـافظ ابن كـثيـر عند تفسـيـر قوله تعـالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى ٱلعَرْشِ ﴾ . فقال :

« للنـاس فى هـذا المقـام مـقـالات كـثـيـرة جـدًا ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يُسْلَك فى هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعى ، والثورى ، والليث بن سعد ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه .. وغيرهم ، من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا .

وهو إمرارها كمـا جاءت من غـيـر تكييف ولا تشبيـه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبـهين منفى عن

الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه و ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ . بل الأمر كما قال الأئمة – منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى – : « من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر » .

وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذى يليق بجلال الله تعالى ، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى(1) .

والخلف : يقولون فى معنى الاستواء : الاقتدار والتصرف أو نحو ذلك . وفى ذلك من التأويل مالا يخفى .

والحق الذى لا مرية فيه أن مذهب السلف أسلم وأحكم وأوثق للعقيدة الصحيحة فى قلوب المسلمين .

وهذا ما ندين لله تعالى به بعيدًا عن الاحتمالات التى تخرجنا عن مراد الله تعالى ، لأنه سبحانه أعلم بمراده .

ومن ثَمَّ فالواجب أن نقف عند حدود النص وأن نؤمن بما وصف الله تعالى به نفسه من غير تأويل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل وهذا هو سبيل التفويض المطلق لله وحده .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣ :٤٢٢ – ط – دار الشعب .

وهذا ما قاله الشافعى فى روايته عن مالك - رضى الله عنهما - قال :

الاستواء مذكور ، وكيفيته مجهولة ، يعنى : لا نعلم معناه ؛ لأنه لا يعلم معنى المتشابه إلا الله تعالى .

فهو ناطق بأنه لا يتعرض لبيان معناه لعدم علمه به فكيف يدعى عليه أنه فسر الاستواء بالاستقرار والجلوس ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم(١) .

وقد ورد زجر الإمام مالك - رضى الله عنه - لمن سأل عن آية الاستواء فقال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » ثم قال - أى للسائل - :

« فإن عدت إلى مسالتك أمرت بضرب رقبتك » أعاذنا الله وإياكم من التشبيه .

هذا ، ومواطن المتشابه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة ، أذكر بعضها على سبيل البيان والإفصاح عن مذهب أهل السنة والجماعة الذين يتمسكون بمذهب السلف الصالح ويدينون لله تعالى به ، وبه نقول ونوقن .

---

(١) نقلته من الدين الخالص للشيخ الإمام / محمود بن محمد خطاب السبكى ١ : ٢٩

صول يجب مراعاتها والإيمان بها :

١ - إن إثبات الصفات للّه تعالى التى أثبتها لنفسه كالحياة والعلم لا يستلزم التشبيه والتجسيم لانتفاء لتماثل بين الخالق والمخلوق .

وكذلك الصفات السلبية التى نفاها اللّه عن نفسه كالإعياء والظلم كقوله : ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

(الكهف : ٤٩)

فيجب الإيمان بما أفصحت عنه النصوص الصحيحة من نفى وإثبات فالإيمان بإنتفاء الظلم عن اللّه تعالى وإثبات ضده وهو العدل أمر واجب .

٢ - يجب الإيمان بأن اللّه - جلت قدرته - قد وصف نفسه بصفات ذاتية دائمة كالعلم والقدرة والإرادة .. وغيرها فهى صفات ملازمة لذاته قديمة لا تنفك عنه .

كما أن له صفات تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كنزوله إلى سماء الدنيا ، وهى صفات فعلية ، فالإيمان بها واجب والتفويض المطلق له سبحانه فيها واجب .

٣ - المذهب الأسلم والأحكم لضبط العقيدة الصحيحة هو المذهب السلفى الذى يقطع أصحابه بتفويض العلم بمعانى هذه الصفات للّه تعالى ، لأنه أعلم بمراده ، وقد

يكون مراده مخالفًا لما عليه الخلف من التاويل ، أى أن تاويلهم لهذه الصفات قد يكون خلاف مراد اللّه فالتفويض أسلم للخروج من جميع الاحتمالات .

٤ - ضبط اللسان والقلم وإسكاتهما عن رمى من خالف السلف فى توجيه معانى الصفات بتأويل ونحوه بالكفر ، كالخلف الذين يقولون بالتاويل تنزيهًا للّه تعالى عن مشابهة الحوادث من وجهة نظرهم واستنادًا إلى الاستعمالات اللغوية الفصيحة .

لأن من شهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه وكان من أهل القبلة لا يرمى بالكفر والاجتراء على القول بالكفر جريمة .

أما الذين أنكروا وجحدوا وعاندوا وجادلوا بالباطل كالجهمية والمعطلة والقدرية وكثير من الفلاسفة .. وغيرهم فقولهم وفعلهم قد أفصحا عن كفرهم ، لأن توحيدهم مخالف لتوحيد الرسل فهم ضالون مضلون .

٥ - الأصل الذى تدور حوله العقيدة الصحيحة يكْمُنُ فى قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

(الشورى : ١١)

وقوله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ . (سورة الإخلاص)

إذا عرفت هذا فاعلم أن اللّه تعالى مخالف لكل شيء موجود فى هذا الكون ، وأن ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات تُعدُّ قديمة لاتصالها بذاته ، وتفويض علم معانيها له سبحانه أسلم وأحكم ، وبه نقول وندين للّه تعالى .

توجيه القول فى الآيات والأحاديث المتشابهة

أولاً : الصفات الذاتية :

١ - قال تعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ . (الرحمن : ٢٧)

الوَجه : من صفات اللّه الذاتية الثابتة له سبحانه ثبوتًا يليق بذاته .

٢ - قال تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ .

(المائدة : ٦٤)

اليد : صفة ذاتية ثابتة له سبحانه بما يليق بذاته وهو أعلم بها ، يبسطها كيف يشاء ، وفى أى وقت شاء ، ويقبض بها أو بهما ما شاء بكيفية هو وحده يعلمها ،

ولا مماثلة بينه وبين مخلوقاته فى بسط اليد وقبضها ، وقد وردت اليد مفردة ومثناه ومجموعة .

وتفسير اليد أو اليدين بالقوة مخالف لظاهر اللفظ ولا دليل لصرفه عن ظاهره - والله أعلم .

٣ - قوله - عز وجل - :

﴿ وَ لِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى ﴾ (طه : ٣٩)

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (الطور : ٤٨)

﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ (القمر : ١٤)

العين : من صفات الله تعالى الذاتية الثابتة له حقيقة على وجه يليق بجلاله وكماله .

ولا يجوز تفسيرها بالرؤية أو بالعلم ، لأنه يؤدى إلى نفى العين وهذا مخالف لظاهر اللفظ ، ولا دليل على التاويل .

٤ - قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

(البقرة : ١٣٧)

السمع : صفة فعلية ، إذا كانت بمعنى الإجابة ، كقوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللَّهِ ﴾ (المجادلة : ١) وقد تكون ذاتية إذا كانت بمعنى إدراك المسموع .

هذا ، ويوجه القول على ضوء ما تقدم فى كل ما أثبته اللّه تعالى لذاته من الصفات كالرؤية ، والكلام والقَدَمِ .. وغيرها .

ثانياً : الصفات الفعلية لله سبحانه :

١ - قال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ . (المائدة : ٥٤)

محبة الله : صفة فعلية للّه تعالى ثابتة له سبحانه بما يليق بذاته ،وبابها الود الذى أفصح عنه سبحانه فى قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ . (البروج : ١٤)

ولا يجوز تفسير المحبة بالثواب ، لأنه يؤدى إلى صرف اللفظ عن ظاهره ، ولا دليل على ذلك ، فالتفويض للّه أسلم لعلمه تعالى بمراده .

٢ - قال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .
(الفتح : ١٤)

المغفرة والرحمة : فالمغفرة : ستر الذنب والتجاوز عنه . والرحمة : هى الإحسان والإنعام من الرحمن الرحيم إلى عباده .

وقد تكون عامة ، وقد أفصح عنها ربنا فى قوله :
﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ . (الأعراف : ١٥٦)

وقد تكون خاصة وذلك قوله تعالى :

﴿ وكَانَ بالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ . (الأحزاب : ٤٣)

٣ - قال - عز من قائل - :

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ . (التوبة : ١٠٠)

الرضا : صفة من صفات اللّه تعالى مقتضاها محبة المرضىّ عنه ، والإحسان إليه حبًا وإحسانًا وفق مراده سبحانه ، وليس مماثلاً لرضا مخلوقاته .

٤ - قال تعالى :

﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ولَعَنَهُ ﴾ . (النساء : ٩٣)

الغضب : صفة للّه تعالى مقتضاها كراهة المغضوب عليه والانتقام منه ، ويرادفه صفة السخط ، ومنها قوله :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾

(محمد : ٢٨)

فغضب اللّه تعالى وسخطه على بعض عباده لا يماثلهما ما يصدر من العباد ، والتأويل يخرج اللفظ عن ظاهره فيخالف مراد اللّه سبحانه .

ويوجه القول مثل ذلك فى صفات الكراهة كقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ . (التوبة : ٤٦)

والمقت الوارد فى قوله :

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَالاَ تفْعَلُونَ﴾ .

(الصف : ٣)

والأسف المصرح به فى قوله :

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ . (الزخرف : ٥٥)

أى : أغضبونا كان عقابهم الانتقام منهم .

وقد يكون الأسف بمعنى الحزن ، وهذا لا يجوز أن يوصف اللّه به ، لأنه صفة نقص ، واللّه سبحانه منزه عن النقص .

لذا فإن التأويل فيما يتصل بصفات اللّه غير جائز لخروج المعنى عن مراد اللّه سبحانه .

٥ - قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا ﴾ .

(الفجر : ٢٤)

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَاتِيَهُمُ اللَّهُ فى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ ﴾ . (البقرة : ٢١٠)

المجىء والإتيان : صفتان من صفات اللّه الفعلية ثابتتان له سبحانه على الوجه اللائق به تعالى ، ولا يجوز التأويل على معنى إتيان أمره ؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ ، وقد يكون بعيدا عن مراد اللّه ، ولا دليل على ذلك .

٦ – روى البخارى ومسلم من حديث النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :

« يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخَرُ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لَهُ » .

النزول : معناه عند أهل السُّنَّة : أنه ينزل بنفسه سبحانه نزولاً يليق بجلاله ولا يعلم كيفيته إلا هو .. وأن نزوله سبحانه إلى سماء الدنيا لا ينافى علوه ؛ لأنه – جلت قدرته – ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ولا يقاس نزوله بنزول مخلوقاته ، والتأويل بنزول أمره خلاف ظاهر النص وإجماع السلف ، ومن ثَمَّ وجب التفويض لعلمه سبحانه بمراده وكيفية نزوله .

٧ – روى مسلم فى صحيحه عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ من أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ ... » الحديث .

الفرح : صفة ثابتة لله تعالى بكيفية تليق به سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ، والتأويل يكون خلاف الظاهر .

ويوجه القول مثل ذلك فى الضحك الوارد فيما أخرجه البخارى ومسلم من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :

« يَضْحَكُ اللَّهُ إلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ ، كِلاَهُمَا يَدخُلاَنِ ٱلجَنَّةَ » .

وكذلك القول فى العَجَب الوارد فيما أخرجه أحمد وابن ماجه بسند صحيح ، بلفظ (عجب) أن النبى – صلى اللّه عليه وسلم – قال : « عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ » .

٨ – قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلعَلِىُّ ٱلعَظِيمُ ﴾ .

(البقرة : ٢٥٥)

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ . (النحل : ٥٠)

﴿ سَبِّح اسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَى ﴾ . (الأعلى : ١)

وفى السنة : ما رواه مسلم من حديث النبى – صلى اللّه عليه وسلم – أنه قال : « رَبُّنَا اللَّهُ الَّذى فى السَّمَاءِ » .

وأخرج مسلم وأبوداود والنَّسَائى من حديث الجارية حين سألها النبى – صلى اللّه عليه وسلم – :« أَيْنَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ : فى السَّمَاءِ . قَالَ : مَنْ أَنَاَ ؟ قَالَتْ : رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ » .

وفى رواية مسلم فى حجة الوداع أن النبى – صلى اللّه عليه وسلم – أشهد ربه على إقرار أمته بالبلاغ ، وجعل يرفع أصبعه إلى السماء ثم ينكتها إلى الناس وهو يقول : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » .

العُلُوُّ : الآيات والأحاديث السابقة تنطق وتفصح عن علو اللّه وهو مؤكد معلوم عند علماء السلف ولم يخالف منهم أحد .

والعلو بمعنى الارتفاع ياتى على ثلاثة معان :

الأول : علو الذات : ومعناه : أن اللّه بذاته فوق خلقه

الثانى : علو القَدْر : ومعناه : أن اللّه ذو قدر عظيم لا يساويه فيه أحد من خلقه ، ولا يعتريه معه نقص .

الثالث : علو القهر : ومعناه : أن اللّه تعالى قهر جميع المخلوقات ، فلا يخرج أحد منهم عن سلطانه - تعالى اللّه علوًا كبيرًا - وهذه المعانى يليق إطلاقها على اللّه تعالى ، لأن العلو صفة كمال ، واليقين المقطوع به أن اللّه - جلت قدرته - متصف بكل كمال ، فيجب ثبوت العلو له - سبحانه - .

والإيمان بعلو اللّه تعالى يلزم أن يكون من غير خوض فى معناه ، أى أنه علو يليق بذاته مع الاعتقاد أنه سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾ وهو منزه عن سمات المخلوقات .

وهذا أحد قولى النووى فى شرح مسلم (٣ : ١٩٠) عند توجيه القول على حديث الجارية .

٩ - هل الله تعالى فى السماء ؟

هذا سؤال يحتاج إلى دقة وحكمة عند الإجابة عنه ؛ ن الإجابة فيها فصل القول فى العقيدة الصحيحة عند ل الحق من السلف وأهل السنة والجماعة .

إن الأمر الذى لا مرية فيه أننا مطالبون أن نؤمن ظاهر النصوص ، وبخاصة ما ورد منها فى صفات اللّه عالى من غير خوض فى تأويل ولا توجيه .

ولكن لما كانت اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم بها يفهم القرآن وتوجه معانيه ، ومدخلنا منها أن حرف جر (فى) قد يستخدم أحيانًا بمعنى (على) وهذا كثير ى القرآن فقوله تعالى : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أَن خْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾ . (الملك : ١٦)

فالحرف (فى) هنا يجب أن يكون بمعنى (على) لأن ن اعتقد أن اللّه سبحانه يكون فى داخل السماوات فهو اهل ضال بالاتفاق ؛ لأنه سيثبت الحيز والجهة للّه عالى ، وذلك محال فى حقه تعالى ، لأنه يؤدى إلى أن سماء تظله أو تقله ، وهذا باطل .

ولهذا التوجيه شواهد من القرآن الكريم ، منها قوله عالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . (الانعام : ١١) أى : ليها . ولأهل العلم توجيهات كثيرة حول هذا المعنى .

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن اللّه تعالى
فوق سماواته على عرشه (فوقية واستواء يليقان بذاته
وهو أعلم بهما) .

روى الحاكم عن الأوزاعى - رحمه اللّه - قال : (كنا
والتابعون متوافرون نقول : إن اللّه - عز وجل - فوق
عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته) .

وعن جريج - رحمه اللّه - قال : (كان عرشه على الماء
قبل أن يخلق الخلق) .

وعن مسروق - رحمه اللّه تعالى - أنه كان إذا حدث
عن عائشة - رضى اللّه عنها - يقول : (حدثتنى الصديقة
بنت الصديق حبيبة رسول اللّه المبرأة من فوق سبع
سماوات) وفى السنة أحاديث وآثار وأخبار كثيرة لمن
أراد .

وعن كعب الأحبار - رضى اللّه عنه - قال : قال اللّه
- عز وجل - فى التوراة : « أَنَا اللَّهُ فَوْقَ عِبَادِى ، وَعَرْشِى
فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِى ، وَأَنَا عَلَى عَرشِى ، أُدَبِّرُ أُمُورَ عِبَادِى
وَلاَ يَخْفَى عَلَىَّ شَىءٌ فى السَّمَاءِ وَلاَ فى الأَرْض » .

(رواه الذهبى فى مختصر العلو ، ورواته ثقات

وقال أبو حنيفة : (إن اللّه تعالى فى السماء دون
الأرض) فقال رجل : أرأيت قول اللّه - عز وجل - :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ . (المجادلة : ٧

قال أبو حنيفة : (كما تكتب إلى الرجل : إنى معك
أنت غائب عنه) .

وقال مالك : (اللّه فى السماء وعلمه فى كل مكان
يخلو منه شىء) .

وقال الشافعى : (القول فى السنة التى أنا عليها ،
رأيت عليها الذين رأيتهم مثل : سفيان ومالك وغيرهما :
قرار شهادة أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمدًا رسول اللّه ، وأن
لّه تعالى على عرشه فى سمائه يقرب من خلقه كيف
اء ، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء ... وذكر
لاعتقاد)[1] .

وقال أحمد بن حنبل : (اللّه فوق السماء السابعة
لى عرشه ، بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه فى كل مكان ،
لمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة)[2]

فهذه عقيدة السلف وأئمة أهل السنة ، وهى ما ندين
لّه تعالى بها ، وأن جميع المخلوقات يعجزون عن معرفة
لّه تعالى والتمحص فى ذاته ، لذا وجب عليهم أن يؤمنوا

---

(١) مختصر العلو للذهبى - نقلته من عقيدتنا فى الأسماء والصفات للدكتور / عمر عبد العزيز : ص ٥٥ ، ٥٦ .
(٢) انظر معارج القبول للحافظ الحكمى - نقلته من السابق : ص ٥٦

مع التسليم المطلق بما أخبر به عن ذاته ، أو أخبر عن رسوله - صلى اللّه عليه وسلم - ويفوضون الأمر ل سبحانه ، وهو أعلم بمراده .

والذى أود أن أؤَكد عليه ضبطًا للعقيدة الصحيحة أ ليس معنى القول أنه تعالى فى السماء أو على السماء أن محدود بمكان أو جهة كما يكون عليه حال المخلوقات ، ب المراد أنه سبحانه على العرش بما يعلم هو لا بعلمن القاصر .

وقد أفصح عن ذلك الإمام على - رضى اللّه عنه - ف قوله : (كان الله تعالى ولا مكان ، وهو اليوم على م كان)[1] .

وفى قول الشافعى - رضى اللّه عنه - :

(إن البارى لا مكان له ، لأنه كان ولا مكان فخلق المكا وهو على صفته الأزلية كما كان قبل خلقه المكان ، لا يجو عليه التغيير فى ذاته والتبديل فى صفاته .

ولأن ما له مكان وله تحت يكون متناهى الذات محدودًا والمحدود مخلوق تعالى اللّه عن ذلك)[1] .

---

(١) انظر إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف ف المتشابهات : ص ١٣٨ للشيخ / محمود خطاب السبكى .

١٠ – قال تعالى :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ . (الحديد : ٤)

﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ . (التوبة : ٤٠)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِين هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

(النحل : ١٢٨)

المعية : المصاحبة . ومقتضاها فى هذا المقام : الإحاطة بالخلق علمًا وقدرة وتدبيرًا وسلطانًا .

دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ .

(الجن : ٢٨)

وقول سبحانه : ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ . (الطلاق : ١٢)

وفى ضوء هذه الأدلة والمقتضى للمعية فى حق اللّه تعالى وهى من صفات الأفعال التى ترتبط بذات اللّه تعالى أقول : إنها معية بعيدة عن معية خلقه مع بعضهم لأنه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فتفويض الأمر فى معيته تعالى مع مخلوقاته هو أعلم بها .

هذا ، ولا يصح تفسير معية اللّه تعالى بكونه معنا بذاته فى المكان ؛ لأنه يلزم على ذلك تحديد المكان والجهة والجسم .. وغيرها مما قضى ببطلان ذلك لاستحالته فى حقه لا يُحدُّ بجهة وأنه سبحانه ليس بجوهر ولا عرض .

وأيضًا فإن تحديد المكان ينافى علوه سبحانه ، وعلوه من صفات ذاته .

ومن ثَمَّ فما وجهت القول به هو ما عليه السلف الصالح ويتمسك به أهل السنة والجماعة - واللّه أعلم .

١١ - قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ . (البقرة : ١٨٦)

وروى مسلم من حديث النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « ... إنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا » .

القرب : صفة حقيقية ثابتة تليق بذاته تعالى ، ولا يتنافى قربه مع علو ذاته ؛ لأنه تعالى بكل شىء محيط ، ووسع كل شىء علمًا ، وليس كمثله شىء ، فوجب علينا أن نؤمن بقربه ومعيته وإحاطته ، وأنه لا يتنافى ذلك مع علوه واستوائه على العرش وفوقيته ؛ لأنها كلها صفات سواء كانت ذاتية أو فعلية نفوض أمرها له سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ، ويقال مثل ذلك فى كل ما ورد من صفات ، وحسبنا تأكيدًا لما وجهت

القول به قول بعض أئمة السلف[1] .

قال أبو بكر – رضى اللّه عنه – : « سبحان من لا يوصل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته » .

وقال الإمام مالك – رضى اللّه عنه – : « كل مايقع فى القلب فاللّه بخلافه » .

وذلك ، لأن كل مايقع فى القلب إنما هو خلق من خلق اللّه تعالى ولا يشبه الخالق المخلوق .

وقال الإمام الشافعى – رضى اللّه عنه – : « آمنت باللّه كما أمر ، فهو الواحد الأحد الموجود بلا ابتداء ، الباقى بلا انتهاء ، الظاهر بصفاته وأفعاله ، الباطن بكنهه وذاته » .

﴿ هُوَ ٱلأَوَّلُ وَٱلآخِرُ والظَّاهِرُ وَٱلبَاطِنُ ﴾ . (الحديد :٣)
الغنى عما سواه المحتاج إليه كل ما عداه ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ ٱلفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ واللَّهُ هُوَ ٱلغَنِيُّ ٱلحَمِيدُ ﴾ .

(فاطر : ١٥)

كان ولا شىء معه ، وهو الآن على ما عليه كان ، ولا يزال على ما هو عليه ، تنزه عن المكان والجهة وصفات الحوادث والتغيرات والأعراض ... إلخ[1] .

---

(١) انظر أقوال الأئمة فى كتاب (إتحاف الكائنات) : ١٩١ ، وفى آخره مختصر لعقيدة أهل السنة والجماعة وأحوالهم : ص ١٩٠ – ١٩٤

وبعد .. فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتصل بأسماء اللّه تعالى وصفاته ، وهى عقيدة السلف الصالح .

ولقد أحسن وأجاد فضيلة الإمام المحقق الورع الشيخ / محمود محمد خطاب السبكى مؤسس (الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية) حيث أوقف كتابه (إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف فى المتشابهات ورد شبه الملحدة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتريات) .

عرض فيه مذهب السلف والخلف ورد على الملاحدة ، وناقش آراءهم وكان اختياره وتوثيق عقيدته الصحيحة مع مذهب السلف فى عبارات منثورة فى كتابه هذا وفى المبحث الذى خصصه للكلام عن التوحيد فى الجزء الأول من كتابه (الدين الخالص) فنراه يقول :

« ومذهب السلف أسلم وأحكم وبه نقول » .

« ومذهب السلف أسلم وهو ما ندين اللّه تعالى به » .

« ويعرض أقوال أئمة السلف ويعُدُّها مذهبه الذى يدين به » .

« ومذهب السلف أسلم ؛ لأنه يحتمل أن اللّه - عز وجل - أراد معنى فى الآية غير ما فسرها به الخلف » .

إلى غير ذلك من الآراء والأقوال والتوجيهات التى رجح بها مذهب السلف على الخلف .. ثم أفصح عن عقيدة أهل السنة والجماعة وأحوالهم - وهو إمامهم فى عصره - فى مبحث مختصر ختم به كتابه (إتحاف الكائنات) قرر فيه عقيدة أهل السلف لأنه مذهبه الذى لقى اللّه عليه .

وجاء من بعده أئمة أهل السنة والجماعة فتمسكوا بمذهب السلف ورسخوا مفاهيمه فى أذهان أتباعهم .. ولا يزال علماء الجمعية الشرعية ينشرون مذهب السلف ، لأنهم يرون أنه أصل العقيدة الصحيحة ، ومؤلفاتهم وخطبهم ومحاضراتهم تفصح عن ذلك .

واللّه وحده من وراء القصد .

* * *

توجيه ونصيحة

إن دعوتنا إلى اللّه (تعالى) خير دعوة حملها وقام بتبليغها خير رسول أرسله اللّه لخير أمة أخرجت للناس ، وقد ضبطها اللّه - جلت حكمته - بمنهاج محكم يجمع ولا يفرق ، وأفصح عنه فى قوله - سبحانه - :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . (النحل : ١٢٥)

ومن معالم هذا الدين الحنيف وسماحته أن من شهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ، وأصبح من أهل القبلة لا يحكم عليه بالكفر مهما ارتكب من المعاصى بل نأخذ بيده ، وله علينا حق الموعظة والنصيحة ما دام الأمر بعيدًا عن الإشراك باللّه .. ونحن نميل إلى أن المسلم لو سُدَّ أمامه تسعة وتسعون بابًا ، ولم يبق له إلا باب واحد فيه الأمل للنجاة أخذنا بيده ودفعناه فى هذا الباب لعل اللّه - سبحانه - يقبل توبته ويمسح حوبته ليعود عاملاً مخلصًا فى ساحة الإسلام .

أما من أشرك بالله بعد إيمانه فانسلخ عن دينه فهو
الذى قضى على نفسه بالكفر .. وكذلك المعاندون الملحدون
الجاحدون لأسماء الله تعالى وصفاته كالفلاسفة والجهمية
والجبرية والاتحادية ، فأولئك أيضًا قضوا على أنفسهم
بالإلحاد والضلال والإضلال فى الأرض واستحقوا لعنة
الله والملائكة والناس أجمعين .

وأما مذهب الخلف الذين اجتهدوا فى صرف الألفاظ
الموهمة لتشبيه الله بخلقه عن ظاهرها اعتمادًا على ما ورد
مثلها فى لغة القرآن ، فهذا أمر لم يؤد إلى خروجهم من
الملة ، والحكم عليهم بالكفر لمجرد الخلاف جريمة شرعية
تؤدى إلى تفريق وحدة الأمة ، فتفتح ثغرات ينفذ منها
أعداء الإسلام فينفثون سمهم فى النفوس الضعيفة فتلتهب
وتشعل لهيب الفتنة ، وديننا ينبذ الدعاة إلى الفتنة .

بيان وجه الحق :

إن الحق الذى لا مرية فيه أن الخلف لم يخالفوا
السلف فى تنزيه الله عن مشابهته بالحوادث ، وقد سبق أن
ذكرنا إجماع السلف والخلف - رضى الله عنهم - على أن
الآيات والأحاديث المتشابهة أى التى فيها صفات توهم

مشابهة اللّه (تعالى) بمخلوقاته .. أجمعوا على أنها مصروفة عن ظاهرها لقوله : ﴿ قل هو اللّه أحد .. ﴾ السورة ، وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى : ١١) فهذان النصان أصل عقيدتهم جميعًا السلف والخلف ، ولكن وقع الخلاف فى معانى هذه الآيات والأحاديث ، وقد عرفنا مذهب السلف الذى ندين اللّه عليه .

أما الخلف : فقد فسروا هذه الآيات بما يدل عليه اللفظ العربى ، والقرآن عربى .

وحملهم على التفسير المذكور ، ولم يفوضوا كما فوض السلف وجود المشبِّهة والمجسِّمة فى زمانهم زاعمين أن ظاهر الآيات يدل على أنه (تعالى) جسم ، ولم يفقهوا أنه مستحيل عليه سبحانه الجسمية والحلول فى الأمكنة .

وقد اغتر بعض العوام بقولهم فاعتقدوا أن اللّه (تعالى) جالس على العرش ، وحالّ فى السماء فكفروا والعياذ باللّه (تعالى) .

ومن ثَمَّ فقد رأوا أن يبينوا للعامّة معنى تلك الآيات والأحاديث المتشابهة حسب مدلولات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ليصححوا لهم عقيدتهم ليعملوا ويتجنبوا الباطل وأهله .

وخلاصة القول : أن الخلف لم يخالفوا السلف فى الاعتقاد ، وإنما خالفوهم فى تفسير المتشابه للمقتضى الذى حدث فى زمانهم كما ذكرت آنفًا .

فاعتقاد السلف والخلف واحد وهو تنزيه اللّه (تعالى) عن مشابهته للحوادث ، ففوض السلف وسكتوا ، وصرف الخلف اللفظ عن ظاهره دفعًا للوهم الذى يقع فيه كثير من الناس وهو مشابهة اللّه (تعالى) بخلقه .

واللّه من وراء قصد الجميع ، فكان يجب على من يكفر الخلف أن يفوض أمرهم إلى اللّه (تعالى) ، وبخاصة أننا نعلم أن السلف والخلف أجمعوا على كُفْرِ من شبه اللّه (تعالى) بصفة من صفات الحوادث ، فأصل اعتقادهم جميعًا يدور فى فلك واحد ، وكلهم يعملون على تنزيه اللّه (تعالى) عن المشابهة بخلقه .. غير أن مذهب السلف أسلم وأحكم وأوثق للعقيدة الصحيحة ، واللّه أعلم بمراده ومراد خلقه .

* * *

الإسـلام وأركان الإيمـان

أولاً : الإسـلام

هو دين الفطرة التى فطر اللّه الناس عليها ، (وهو إظهار الخضوع والقبول لما أتى به سيدنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) وبه يحقن الدم .

فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد ، وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذى هذه صفته ، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو فى الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق ، فذلك الذى يقول : أسلمت .

فالمسلم التام الإسلام مظهر للطاعة مؤمن بها(١) .

وما أحسن ما اختصر ثعلب ذلك فقال : الإسلام باللسان ، والإيمان بالقلب(١) .

وإعلان الإسلام يتحقق بالنطق بالشهادتين ، أى : يقول العبد : (أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه) .

فبهما يحقن الدم ، ويصير الكافر مؤمنًا ، ونقول : إنه دخل الإسلام وعُدّ من أهله ، ولكن يجب عليه أن يعمل بمقتضى هاتين الشهادتين ، ومقتضاهما التصديق بالقلب ،

---

(١) انظر لسان العرب بتصرف (سلم) ١٢ : ٢٩٣ ، ٢٩٤

وترجمـة ذلك بالعمل مع الإيمان والاعتقاد الجـازم بأركان الإيمـان .

عندئذ يصدق فيـه مـا أخرجـه مسلم فى صحيحـه عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) أنه قال :

« أَشْـهَـدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه ، وَأَنِّـى رَسُـولُ اللَّه ، لاَ يَلْقَى اللّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ بِهِمَا إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وأخرج مسلم فى صحيحـه أيضا أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) قال :

« مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه دَخَلَ الجَنَّةَ » .

وروى مسلم فى صحيحه من حديث عبادة بن الصامت (رضى اللّه عنه) قال : سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) يقول :

« مَنْ شَـهِدَ أَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ اللّه ، وَأَنَّ مُـحَمَّـدًا رَسُـولُ اللّهَ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ النَّارَ » .

وفى السنة أحـاديث كـثيـرة تفصح عن هذا الفضل ، وتدل على أن من مـات على التـوحيـد دخل الجنـة ، ولو فى المآل ولم يخلد فى النار ، وإن عذب فيـها على مـا اقترف من المعاصى فى دنياه ، وذلك كله بفضل اللّه (تعالى) ورحمته وإحسانه .

ثانياً : الإيمــــان

(هو اسم يقع على الإقـرار باللســان ، والتـصـديق بالقلب ، والعمل بالجوارح) . وهذا ما ذهب إليه جمهور أهل السنة والجماعة . قال ابن القيم :

وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ إِيمَانَ الْوَرَى   قَـوْلٌ وفِـعْلٌ ثُمَّ عَـقْـدُ جَنَانِ

قال الشافعى رحمه اللّه فى كتابه (الأم) : « وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ، ومن أدركناهم يقولون : (إن الإيمان قول وعمل ونية لا تجزئ واحدة من الثلاثة إلا بالأخرى) » .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : « ولهذا كان القول إن الإيمان قول وعمل عند أهل السنة من شعائر أهل السنة »[1] .

وقال بعضهم : إن الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان والتصديق بالقلب ، ولا يدخل فيه العمل بالجوارح ، ولكنهم يقولون : إن العمل بكل ما صح عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) من الشرائع ، والبيان حق وواجب على المؤمنين الذين اكتسبوا هذا الاسم بالإقرار والتصديق[2] .

(١) انظر أقوال العلماء وتوجيهاتهم فى شرح قصيدة ابن القيم ٢ : ١٣٩ - ١٤١ - بتصرف - نقلته من كتاب الإيمان : ص ١٢٦ من الهامش تأليف د / محمد نعيم ياسين .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ٣٧٣ - نقلته من السابق : ١٢٦ ، ١٢٧

والراجح عندى هو القول الأول ؛ لأن عمل الجوارح يُعَدُّ ترجمة لقول اللسان وتصديق القلب وبالعمل أيضًا يزيد الإيمان وينقص ، وهذا ما قرره جمهور أهل العلم .

أركان الإيمان :

نطق القرآن الكريم وأفصحت السنة النبوية المطهرة عن أركان الإيمان وعدَّاها ستة أركان ، قال (تعالى) :

﴿ يَاَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى نَزَّل عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ . (النساء : ١٣٦)

وقوله - سبحانه - : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . (البقرة : ١٧٧)

وفى السنة ما رواه الإمام مسلم عن عمر بن الخطّاب - رضى اللّه عنه - وأخرج البخارى نحوه عن أبى هريرة - رضى اللّه عنه - فى حديث جبريل - عليه السلام - المشهور حين جاء إلى النبى (صلى اللّه عليه وسلم) فى صورة أعرابى يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فقال (صلى اللّه عليه وسلم) عن الإيمان :

« أَنْ تُؤْمِنَ باللّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » .

فالإيمان بهذه الأركان الستة جميعًا أمر واجب ، ولا يتم الإيمان ولا يقبل عند اللّه (تعالى) إلا بها جميعًا ، فبها بعث اللّه رسله الكرام – صلوات ربى وسلامه عليهم – .

فمن جحد ركنًا واحدًا منها وأنكر التصديق به خرج من الملة ؛ لأن الإيمان بها جميعًا يُعدّ مما هو معلوم من الدين بالضرورة .. وإليك بيانها بإيجاز :

١ - الإيمان بالله - سبحانه - :

يقضى بالاعتقاد الجازم بأن اللّه رب كل شىء ومليكه وخالقه ، له الخلق والأمر ، فهو المستحق أن يفرد بالتوحيد الخالص والعبودية له تحقيقًا لقوله – سبحانه – :

﴿ إِيَّاكَ نعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ ﴾ . (فاتحة الكتاب : ٥)

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَة ﴾ .
(البينة : ٥)

وهو – سبحانه – المنزه بذاته وبأسمائه وصفاته ، فله صفات الكمال كلها ، وتنزه عن كل نقص .

كما أن الإيمان به (تعالى) يقضى بتوحيده توحيد الربوبية ، والألوهية ، وتوحيد أسمائه وصفاته على نحو ما سبق توجيه القول فيه فى هذا الكتاب .

٢ - الإيمان بالملائكة :

قال جمهور أهل الكلام من المسلمين : (الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة التشكيل بأشكال مختلفة ، ومسكنها السماوات) هكذا ذكر فى فتح البارى ٦ : ٢٣٢

والمادة التى خلقوا منها أخبرنا عنها النبى (صلى اللّه عليه وسلم) فيما أخرجه مسلم فى صحيحه وأحمد فى المسند ، من حديث عائشة - رضى اللّه عنها - أن الرسول (صلى اللّه عليه وسلم) قال :

« خُلِقَتِ الْمَلائِكَةُ مِن نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِن نَّارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » أى : من تراب .

والمراد بالإيمان بالملائكة : هو الاعتقاد الجازم أن للّه ملائكة موجوين مخلوقين من نور ، وأنهم لا يعصون اللّه ما أمرهم ، وهم عباد مكرمون ، وكل يؤدى وظيفته التى أمره اللّه بها وفق مراده - سبحانه - فى تدبير شئون ملكه وخلقه .

٣ - الإيمان بالأنبياء والمرسلين :

من سماحة الإسلام وكمال عقيدة المسلم أن اللّه - جلت حكمته - شرع الإيمان بالرسل والأنبياء السابقين ، وعده ركنًا للإيمان لا تصح العقيدة إلا به ، وأفصح ربنا عن ذلك بقوله :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

(البقرة : ٢٨٥)

والإيمان بهم جميعًا سواء من سمى اللّه (تعالى) منهم فى كتابه ، أو من لم يسم ، لأنه - سبحانه - أعلم بعددهم وبمن أرسلهم إليه ، فالإيمان بهم إجمالاً أمر واجب ، ويكفى أن اللّه - جلت حكمته - قال : ﴿ ... لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ ﴾ وقال - جل شأنه - : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ . (غافر : ٧٨)

وفى التنزيل آيات سمى اللّه فيها بعض أنبيائه ورسله والمقام يطول بذكرهم .. ويكفى أن نوقن بأن اللّه (تعالى)

رسلهم لتبليغ رسالته إلى خلقه وتبشيرهم وإنذارهم ليعبدوا اللّه كما أمر اتباعًا لرسولهم (صلى اللّه عليه وسلم) الذى أرسل إليهم ، إقامة لدين اللّه فى الأرض ، وتوحيده توحيدًا خالصًا فى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وكلهم كانت دعوتهم تعلن كما أخبر عنها القرآن الكريم : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ .

٤ - الإيمان بالكتب التى أنزلها اللّه على رسله :

لقد أرسل اللّه (تعالى) الرسل هادين للناس مبشرين ومنذرين ومبلغين دعوة اللّه (تعالى) إلى خلقه ، وكل نبى أو رسول كان لعصره سمة بارزة ، فلا بد أن يواكب كل منهم عصره ، وأيضًا فإن البشر فى حاجة إلى إصلاح نفوسهم ليتقبلوا الدعوة إلى اللّه ، فأنزل اللّه - سبحانه - على بعض رسله كتبًا تلائم العصر الذى أرسل فيه الرسول وبخاصة أولو العزم منهم :

١ - فأنزل الصحف على إبراهيم وموسى - عليهما السلام - .

٢ - وأنزل التوراة على موسى - عليه السلام - .

٣ - والزبور على داود - عليه السلام - .

٤ - والإنجيل على عيسى - عليه السلام - .

وهذه الكتب والصحف تُعدُّ بمثابة تمهيد لنزول آخر الكتب الذى يحمله آخر الأنبياء والرسل سيدنا محمد (صلى اللّه عليه وسلم) وهو القرآن الكريم الذى يعدُّ سجلاً وافيًا لجميع الكتب والصحف السابقة ، وفيه تمام الخير بخلاصة التعاليم الإلهية ، والتشريعات المحكمة التى تصلح لتطبيقها على البشر إلى قيام الساعة ، كما تضمن المنهج التعبدي للّه وحده ، فهو الكتاب الربانى الوحيد الذى تعهد اللّه - سبحانه - بحفظه فقال - جل شأنه - : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

(الحجر : ٩)

وقال (تعالى) : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

(فصلت : ٤١ ، ٤٢)

فالإيمان بالقرآن الكريم وبجميع الكتب أمر واجب ؛ لأنها منزلة من عند اللّه - سبحانه - على رسله الكرام الذين أمرنا بالإيمان بهم أيضًا وتصديقهم فيما جاءوا به عن ربهم .

٥ - الإيمان باليوم الآخر:

المراد من الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بكل ما أخبر به اللّه - عز وجل - فى كتابه ، وأخبر به رسوله (صلى اللّه عليه وسلم) مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والعرض والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار ، وما أعده اللّه من نعيم لأهل الجنة ، وجحيم لأهل النار .

فالعبد المؤمن يجب عليه أن يؤمن إيمانًا جازمًا بهذه الأمور وغيرها مما أخبر عنه اللّه (تعالى) ورسوله الكريم ، وألا يخوض فى شىء منها ؛ لأن عقله سيخوض فى دائرة الجهل ، ويسقط بكليته فى تيه الضلالة ، حيث لا قيادة له إلا الشيطان ، فيتراكم عليه غبار الغفلة حتى يسقط فى التهلكة .

وأن من أنكر أمرًا منها يكون قد أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وذلك لأنها ثابتة بنصوص قطعية الثبوت ، فيعدّ إنكارها إنكارًا لبعض آيات القرآن الكريم ، وقد أجمع علماء الأمة على أن من أنكر آيه واحدة من كتاب اللّه (تعالى) وجحد العمل بها فقد خرج من الملة .

فعلينا أن نؤمن باليوم الآخر بكل ما سيقع فيه علمنا ببعض ما يقع أم لم نعلم ، لأن ذلك كله وكيفية وقوعه يتعلق بعلم اللّه القديم ، ولا مجال للعقل أن يفكر أو يعترض ، اللهم إلا من رضى لنفسه الذل والهوان والخسران فى الدنيا والآخرة .

وأن النعرة والصرخة المضللة التى صدرت عن بعض من نصبوا أنفسهم فحولاً فى فهم الدين وهم أقزام تُعد بمثابة غبار هب من ريح عكسية فأشرقت شمس الضحى عليها فازالت الغبار ؛ لأن ما ينفع الناس هو الذى يمكث فى الأرض وله البقاء والاستمرار .

فاحذروا ياسادة ، يا أهل الإيمان من أولئك الدجّالين الكذّابين الذين يقولون بما لم يقل به سلفنا الصالح أصحاب العقول النقية والبصائر النافذة ، ذلك لأنهم آمنوا بما أخبر به اللّه (تعالى) ورسوله (صلى اللّه عليه وسلم) من غير اعتراض ولا بحث فى أمر لم يكلفوا البحث فيه .

- رزقنا اللّه الأدب معه ومع رسوله - .

٦ - الإيمان بقضاء الله وقدره :

القضاء : إيجاد الله (تعالى) الأشياء حسب علمه وإرادته .

والقدر : علم الله (تعالى) بما تكون عليه المخلوقات فى المستقبل[1] .

والقضاء والقدر بمعنى واحد هو : « النظام المحكم الذى وضعه الله (تعالى) لهذا الوجود ، والقوانين العامة (التى يتعامل بها البشر) والسنن التى ربط بها الأسباب بمسبباتها)[2] .

وهذا التعريف مستنبط من ظاهر النصوص القرآنية ، قال (تعالى) :

﴿ إنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ . (القمر : ٤٩)

﴿ وكُلُّ شَىْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ . (الرعد : ٨)

﴿ وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ . (الحجر : ٢١)

---

(١) انظر تبسيط العقائد الإسلامية للشيخ / حسن أيوب : ٧٧ - نقلته من كتاب الإيمان : ١٠٨

(٢) انظر العقائد الإسلامية للشيخ / سيد سابق : ٩٧ - نقلته من كتاب الإيمان : ١٠٨ بتصرف .

قال الطحاوى : « وكل شىء يجرى بتقديره ومشيئته ومشيئته تنفذ ، لا مشيئه العباد إلا ما شاء الله ، فما شا لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره[1] » .

الإيمان بالقدر واجب :

إن ما قدّره الله – سبحانه – على العباد لا بد من نفاذه ، وإذا نزل القضاء تنفيذًا لما قدره الله (تعالى) فنفاذه محتوم ، فعلى العباد أن يستقبلوه بحب ورضا ؛ لأن نفاذه واقع لا محاله ، خيرًا كان أم شرًا ، حلوًا كان أم مُرًا فالصبر والرضا والتسليم لله يرفع المقام عنده – سبحانه –

ومن الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله (تعالى) القديم وبمشيئته النافذة ، وقدرته على كل شىء فى ملكه ، والناس فى ذلك على درجتين فصل القول فيهما شيخ الإسلام ابن تيمية[2] .

وما دام الأمر يتعلق بعلم الله القديم وجب على العباد

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ١٥٣
(٢) انظر الروضة الندية شرح العقيد الواسطية ص : ٣٥٢ ، ٣٥٣

لإيمان بكل ما تعلق بمشيئة اللّه (تعالى) من غير خوض
ى قضائه وقدره ، لأنها أمور غائبة عنا ، والخوض فيها
ع الجهل بها حرام .

هذا ، ومما يجب أن نعلمه أن الإيمان بقضاء اللّه
وقدره لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب .

فالناس مطالبون بالسعى على أرزاقهم لاكتسابها من
حلال والتوكل على اللّه - سبحانه - .

والمريض يذهب للطبيب لعلاج مرضه مع اعتقاده أن
لشفاء من اللّه ، فلا يترك نفسه يدمره المرض منتظرًا قضاء
للّه عليه .

والعقيم يعالج نفسه للإنجاب ، ويتوكل على اللّه ،
ما يختاره اللّه له هو الخير ، ويجب عليه أن يرضى
بما قدره اللّه عليه .

وهكذا فى كل شئون الحياة ، فالذى خلق الأسباب هو
لذى قدر نتائجها ، ومن ثَمَّ فالأخذ بالأسباب والنتائج كلها
من قدر اللّه - سبحانه - .

وقـد أفـصح عن ذلك رسـول اللّه (صلى اللّه عليـه وسلم) عندمـا بَيَّنَ أن الأسبـاب المشروعـة هى من القـدر ، فـقيل له : أرأيت رُقَى نستـرقى بـهـا ، وتُقَى نتـقى بهـا ، وأدوية نتـداوى بهـا ، هل ترد من قـدر اللّه شيـئًـا ؟ فقـال : « هِيَ مِنْ قَدَرِ اللّه » .

فالأخذ بالأسباب والتوكل على اللّه والإيمان بعد ذلك أن كل مـا يُصاب بـه الإنسان من خير أو شر هو قضاء اللّه عليـه وقـدره ، همـا ركيـزة الخـلافـة فى الأرض والعـمل فى ضوئهما يكون للدنيا والآخرة .

رزقنا اللّه صدق الإيمان والإخلاص فى العمل .

الإيمان يزيد وينقص

إن معيار الزيادة والنقصان فى الإيمان هو الصدق والإخلاص فى العقيدة مترجمًا ذلك بالعمل ، لأن القول سهل والعمل يكون مصدقًا له ، والعمل يشمل أداء العبادات وجميع التكاليف الشرعية والطاعات والسلوكيات ويدخل فى السلوكيات أقوال اللسان ، واللّه - جلت قدرته - يقول :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ . (الصف : ٢ ، ٣)

والإيمان لا يجنى المؤمن ثمرته إلا إذا كان مصدقًا بالعمل ، ولذا نجد أن الإيمان إذا ذكر فى القرآن قُرِنَ بالعمل ، ومن هذه النصوص قوله (تعالى) :

﴿ والَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .
(الأعراف : ٤٢)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ . (الكهف : ٣٠)

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾ . (العصر : ١ - ٣)

والأثر البارز للإيمان وزيادته فى قلب المؤمن يتجل

فى قوله - سبحانه - :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُـ
وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّـ
يَتَوَكَّلُونَ ﴾ . (الأنفال :

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَـ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ... ﴾ .
(آل عمران : ١٧٣ ، ٧٤

﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُ
إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ . (الفتح :

ومن السنة ما أخرجه البخارى ومسلم واللفظ لمس
من حديث النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال :

« الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، أَعْلاَهَا قَوْلُ لاَ
إِلا الله ، وأدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ » .

ولقد جعلت هذا الحديث أصلاً فى تأليف الجزء الثانى ن كتابى (قبسات من المنهج التربوى فى السنة « العقيدة صحيحة فى ضوء شعب الإيمان ») .

وحصرت قولى وتوجيهاتى فى شعب الإيمان ، عددها ست وسبعون شعبة ، وأفصحت عن زيادة الإيمان ى ضوء التطبيق العملى ، ومن أراد مزيدًا فليراجعه .

هذا ، وفى كتب التفسير والسنة الرشيدة ما يجعلنا زداد إيمانًا بالقول والتطبيق والسلوك .

- وفقنا اللّه إلى القول الصادق والعمل الخالص للّه حده .

* * *

نواقض الإيمــــان

لقـد فصل العلمـاء القـول فى نواقض الإيمان ودعمو
قـولـهم بالأدلة الصـحـيـحـة من الكتـاب والسنة ، وأرى أ
المقام يطول هنا لو عرضناها بشىء من التفصيل ، ولكنن
اذكرها على سبيل الإجمال ليقى كل مسلم نفسه من انزلا
قدمه فـى واحدة منها كى يتحصن الإيمان فى قلبه ، ويزدا
بالعمل الصالح والصدق والإخلاص فى القول والعمل
وإليك مجملها :

أولاً : إنكار الربوبية أو الطعن فيها أو ادعاؤها :

توحيد الربوبية أمر عقدى لا بد من اعتقاده وإقرار
بالقلب واللسان ، وأنه ثابت للّه (تعالى) وحده أنه رب ك
شىء ومليك كل شىء له الخلق والأمــر ، لأنه خــالق ك
شىء ورازقه والمتصرف فيه وحده بمشيئته وعلمه وحكم
- جلت قدرته - .

فمن ادعى الربوبيـة كمـا قـال فـرعـون - لعنـه اللّه
كـمــا قـال وذكـر عنـه القـرآن : ﴿ ... أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾
فقد كفر باللّه وحده . (النازعات : ٢٤

وكذلك كل من يطعن فيها أو ينكرها فهو كافر جاحد ، وأيضًا من يجعل مع اللّه شريكًا فى ربوبيته ، وتدبير شئون خلقه .. وغير ذلك مما يؤدى إلى نقص فى ربوبية الخالق .. كل ذلك ينقض الإيمان ويُخْرِجُ من الملة .

ثانياً : الطعن فى أسماء اللّه وصفاته :

معلوم أن اللّه (تعالى) أثبت لنفسه ، وأثبت له رسوله (صلى اللّه عليه وسلم) أسماء وصفات تليق بذاته لا يشاركه ولا يماثله فيها أحد من خلقه ، فمن لم يؤمن بها كما وردت ، فقد نقض إيمانه ، وكذلك يكفر من يثبت لنفسه صفة أو اسمًا من أسمائه ، كأن يدعى أنه يعلم كعلم اللّه ، أو يخلق كخلق اللّه .. وغير ذلك ، فإن ذلك يؤدى إلى نقص فى ذات اللّه ، فمن قال بذلك فهو كافر .

ثالثاً : الطعن فى توحيد الألوهية :

الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد هو اللّه رب العالمين ، هو وحده يستحق العبودية الخالصة ، فمن جعل للّه (تعالى) شريكًا فى عبوديته له فقد كفر .

ومعلوم باليقين أن (لا إله إلا اللّه) كلمة خالصة لإثبات الوحدانية للّه وحده فيناقضها أمران :

الأول : نفى استحقاق الخالق باختصاصه وحده
بانواع العبادة كلها ، أو نفى نوع منها عنه - سبحانه - .

والثانى : إثبات هذا الاستحقاق لأى مخلوق من
مخلوقات اللّه - سبحانه - ومن ثَمَّ فإن كل من يجعل مع
اللّه شريكًا فى توحيد ألوهيته أو عبادة غيره يدخل فى
الكفر .

رابعًا : الطعن فى الرسالة المحمدية أو فى صاحبها
(صلى اللّه عليه وسلم) :

فالطعن في ذات النبى (صلى اللّه عليه وسلم) وفى
رسالته بالإنكار والجحد يخرج من ملة الإسلام ، وكذلك
إنكار بعض ما أخبر به (صلى اللّه عليه وسلم) من
أمور الدين وبخاصة ما يتعلق بالتوحيد الخالص للّه
أو العبادات أو الغيبيات ، لأن ذلك يؤدى إلى إنكار ما هو
معلوم من الدين بالضرورة ، ، ومن أنكر أمرًا معلومًا من
الدين بالضرورة فقد كفر ، لأن إنكار مثل هذا الأمر يؤدى
أيضًا إلى نقض « شهادة « أن محمدًا رسول اللّه » .

هذه الأنواع الأربعة متفق عليها فمن وقع فى واحد
منها عُدَّ مرتدًا خارجًا من ملة الإسلام .

وهناك نواقض أخرى مختلف فيها لا يتسع المقام
ذكرها .

أجارنا اللّه من كل ما ينقض عقيدتنا الصحيحة
ونسأله (تعالى) أن يجعل شهادة التوحيد حصنًا لقلوبنا
وأجسادنا ، حتى نلقى اللّه صادقين مخلصين عليها آمين .

وبعد .. فهذه أصول عقيدتنا ، وهى عقيدة السلف
لصالح الذين سلكوا حياتهم قولاً وعملاً على قدم رسول
للّه (صلى اللّه عليه وسلم) هداية ورشادًا فتمكنوا
سادوا ، وعاشوا حياتهم موحدين اللّه (تعالى) توحيدًا
خالصًا عابدين إياه بعبودية صادقة .

فلو أننا سلكنا على هديهم ، واقتفينا أثرهم لعشنا
حياتنا بعيدًا عن الجدل ، والتطاول على النصوص ، وبث
لفتن ، فعندئذ يستقر أمن البلاد والعباد ، ويزدهر
لاقتصاد ، وتستقر الحياة الاجتماعية فتعيش الأمة فى
من وسلام ورغد فى العيش .

وحبذا لو تزودنا بالعلم النافع المحصن باسم اللّه ،
الإكثار من العمل الصالح ، وانصرفنا عن الشهوات ،
أخلصنا عبوديتنا للّه وحده فى ضوء كتاب اللّه (تعالى)
سنة رسوله (صلى اللّه عليه وسلم) .

فـعندئذ يـزداد اليـقين فى اللّه فى ضـوء زيـادة الإيمـ
فيرقى المسلمون ويرزقون الهـيبة أمـام عدوهـم ، والنصـ
يتـحـقق لهم إن شاء اللّه - سـبـحـانه - لأن من انتـصـر عل
نفسه تحقق نصره على عدوه .

واللّه وحـده من وراء القـصـد وهو الهـادى إلى الحـ
وصلى اللّه (تعـالـى) وسلم على سـيدنـا مـحـمـد وعلى آ
وصحبه .

* * *

انتهيت من كتابته فى غرة شهر رمضان المعظم سنة ١٤٢٠ هـ
الموافق التاسع من ديسمبر سنة ١٩٩٩ م .

أ . د / فؤاد مخ

إمام أهل السنة